جامعة الدكتور يحيى فارس بالمدية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

تحليل الخطاب اللّساني التمهيدي العربي: دراسة وصفية تحليلية (اللّسانيّات العامة) أنموذجًا

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستير في اللغة العربية وآدابها
تخصص تحليل خطاب

إعداد الطالبتين:
فضيلة شافعي
فاطمة تويزة

إشراف الأستاذة :
سهام دويفي.

السنة الجامعي:
2017-2016

جامعة يحيى فارس بالمدية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

تحليل الخطاب اللّساني التمهيدي العربي: دراسة وصفية تحليلية (اللّسانيّات العامة) أنموذجًا

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستير في اللغة العربية وآدابها

تخصص تحليل خطاب

إعداد الطالبتين:

فضيلة شافعي.

فاطمة تويزة.

الأستاذة المشرفة:

سهام دويفي.

أعضاء اللجنة المناقشة:			
الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
أ.د.زوقاي محمد	أستاذ التعليم العالي	رئيساً	جامعة المدية
د. مكي محمد	أستاذ محاضر	عضواً مناقشاً	جامعة المدية
أ. دويفي سهام	أستاذ مساعد	مشرفةً	جامعة المدية

السنة الجامعية

2017-2016

بسم الله الرحمن الرحيم





بسم الله الرحمن الرحيم

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2)
اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)

سورة العلق

صدق الله العظيم

شكر وعرفان

نشكر رب العزة الكريم الجليل شكرًا كما ينبغي لجلال وجهه العظيم، والحمد لله العلي القدير الذي أغرقنا بنعمه التي لا تعد ولا تحصى وبرزقه، الذي لا يفنى وأنار دربنا حتى تمكنا من إنجاز هذا العمل المتواضع.

من باب من لم يشكر الناس لا يشكر الله

إلى التي أحاطتنا باهتمامها ولم تبخل علينا بنصائحها ورعايتها، وأفادتنا بمراقبتها المتواصلة وملاحظاتها الصارمة والقيمة المغموسة بلمسة من لمساتها والتي تصبو دوما وما إلى أن تخرج كل أعمالها في أحسن صورة أستاذتنا الفاضلة "سهام دويفي " التي تعهدت بحثنا بالرعاية والتصويب فكانت نعم الموجهة والمرشدة حفظها الله وأطال عمرها.

إلى أسرة قسم اللغة العربية ولآدابها بجامعة المدية

إلى كل محبينا على درب النضال والعلم والاجتهاد، لهم منا أسمى عبارات الاحترام والتقدير.



إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم:

(قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)....صدق الله العظيم.

إلاهي لا يطيب الليل إلا بشكرك، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك...ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك...ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك...ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك، الله جل جلاله.

إلى من بلغ الرسالة...وأدى الأمانة...ونصح الأمة...إلى نبي الرحمة...ونور العالمين...سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار...إلى من علمني العطاء بدون انتظار...إلى من أحمل اسمه بافتخار...أرجو من الله أن يمد في عمره... والدي العزيز.

إلى ملاكي في الحياة...إلى معنى الحب إلى معنى الحنان...إلى سمة الحياة ...وسر الوجود...إلى من كان دعاؤها سر نجاحي ...إلى أغلا الحبايب أمي الحبيبة.

إلى إخوتي ورفقاء دربي، محمد، حسين، سليمان، عبد القادر، أقول لهم أن الحياة بدونكم لاشيء...معكم أكون أنا، وبدونكم أكون مثل أي شيء.

إلى من بهم أكبر وعليهم اعتمد إلى شمعتان تنيران لي ظلمة حيلتي...إلى سندي في الحياة ...أختي سعيدة وأختي فتيحة.

إلى كتاكيت وبراعم البيت...دعاء، أُبي، نوح، إدريس.

إلى زوجي إخوتي...دحمان وحمزة.

إلى زوجة أخي، مريم.

إلى من أدخل السعادة إلى قلبي...إلى من كبرت وكبر في مخيلتي...إلى من دعوت ربي أن تجمعني الأيام به...إلى من أسميته... بيبيشا تاعي محمد... أنيس فؤادي وسند كتفي وفرج صبري.

إلى من أرى التفاؤل بعينها...والسعادة في ضحكتها...إلى شعلة الصبر والاجتهاد، إلى من شاركتني مذكرتي فاطمة .

إلى الأخوات اللواتي لم تلدهم أمي...إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالصدق والوفاء...

صديقاتي: أمال، سميرة، سامية، سليمة، حدة.

فضيلة

إهداء

الحمد لله الذي رزقني العلم وأنار لي طريقي ووفقني في طلبه وسهل لي المسيرة في دربي، ما أثقل قلمي في يدي وما أثقل قلبي في صدري وما أخفق دمعتي في مقلتي حين أكتب للذين لا تكفيهم كلمات العرفان والتقدير وما يسعني إلا أن أهدي ثمرة نجاحي إلى:

من فاق وجهها نور القمر

إلى التي تذكرني بقلبها قبل أن تراني بعينها، إلى ينبوع الحنان وسر الحياة والوجدان، إلى من لا يمكن أن يرقى أجرها ويرد جميلها إلى بلسم جروحي ونبض روحي أمـــي الحبيبـــة حفظها الله، أهديها نجاحي لأنها سر كفاحي.

إلى من ميزه الله بالهيبة والوقار، إلى من أجمل اسمه بكل افتخار إلى من عمل بكد في سبيلي وتحمل عبئ الحياة وأوصلني لما أنا عليه إلى تاج العائلة وأصلها أبـــي الغالي

إلى اللواتي خفقت قلوبهم انقباضا وانشراحا لكل خطوة خطوتها، إلى من قاسموني فرحتي، سندي في الحياة شقيقاتي: مسعودة، عائشة، خديجة، مريم، سليمة، سعاد، زهرة.

إلى منبع الفخر والاعتزاز، إلى من أهداهم القدر لي أشقائي: عبد القادر، محمد، إبراهيم، إسحاق.

إلى أحلى من عطر الورود وأغلى ما في الوجود، إلى من تحلو الأيام بها وتفرح العين لرؤيتها وتدمع لفراقها فضيلة.

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي شموع العائلة: شيماء، هبة، أية، ملك، عبد البارئ، مرام، أسيل، مريم.

الآن تفتح الأشرعة وترفع المرساة لتنطلق السفينة في عرض بحر واسع مظلم هو بحر الحياة وفي هذه الظلمة لا يضيء إلا قنديل ذكريات الأحبة: سامية،

إلى الذين لم تضمهم ورقتي ولم يخطهم قلمي ولم تصفهم حفنات ألفاضي ولا قليل عباراتي

فاطمة

يعد الخطاب التمهيدي ضرورة لابد منه لذيوع أي علم من العلوم الفتية، إذ يسعى نحو كشف اللبس عنه بالتعريف به من خلال توضيح مبادئه النظرية و المنهجية وتبسيط مفاهيمه و مصطلحاته العلمية.

وقد كانت اللسانيات الحديثة هي إحدى العلوم الفتية التي اقتحمت الثقافة العربية بحلتها الغربية، فكان اللجوء إلى خطاب تمهيدي أمر لابد منه ليّمهد لها ويعرّف بها وهو ما يعرف بالخطاب اللساني التمهيدي وما ذاك إلا بغية تقربها من القارئ العربي، فشهدت بذلك قلعة الثقافة الفكرية واللغوية في الساحة العربية منذ منتصف القرن العشرين نشاطا لغوي كبير وحركة فكرية واسعة – للتعريف بهذا العلم الفتي– على يد ثلة من المثقفين العرب ممن تعرفوا عليه ودرسوه في منبته الذي نمى وترعرع فيه "أوروبا" فهمّوا نحو التعريف به وبمبادئه النظرية والمنهجية وتبسيط مفاهيمه و مصطلحاته العلمية، إذ لم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقط، بل سارعوا إلى ترجمت العديد من الخطابات اللسانية الأجنبية والتي تندرج في أدراج الخطاب التمهيدي كخطاب فرديناند دي سوسير(مبادئ في اللسانيات العامة).

ولكن رغم كل الإنجازات الخطابية التي قام بها اللسانيون العرب إلا أن صدود المتلقي العربيعن اللسانيات الغربية وإعراضه عنها وشكه في منطلقاتها ومبادئها العلمية باعتبارها علم غربي محض أمرٌ انعكس سلبا على الواقع الراهن اللسانيات في الثقافة العربية مما أبقاها في واقع متأخر عن نظيراتها في الثقافة الغربية،ليس هذا وحسب، بل اصطدامها بحاجز التراث اللغوي العربي القديم أثر هو الآخر تأثيرًا سلبيًا على تأسيس درس لساني عربي الذي لم يتخطى بعد أزيد من نصف قرن من ولوج اللسانيات إلى الساحة العربية عتبة النقل والترجمة إلى عتبة التنظير والتطبيق، إذ لا يزال رواده من العرب ينحون منحى تأليف خطابات لسانية تمهيدية للتعريف بها وتقريبها من القارئ العربي.

هذا وقد حفز الإحساس بقيمة اللسانيات ومكانتها العلمية من جهة وبواقع الدرس اللساني العربي المتأخر، شعلة من اللسانيين العرب إلى تنوير الحركة اللسانية و بعث النشاط فيها مركزين اهتمامهم على الخطاب اللساني التمهيدي باعتباره جسر عبور وحلقة وصل بين اللسانيات والمتلقي هذا الأخير الذي

سعى الخطاب التمهيدي إلى إقناعه بضرورة اعتمادها كدراسة علمية جديدة للغة العربية، ومن بين الدراسات التي تتبعت النشاط اللساني التمهيدي العربي منذ النشأة على سبيل التمثيل لا الحصر نجد:

1- حافظ إسماعيل علوي :" اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته".

2- مصطفى غلفان: " اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية" رسالة دكتوراه.

3 فاطمة الهاشمي بكوش: "نشأة الدرس اللساني العربي".

وبناء على ما سبق ذكره جاء بحثنا هذا والموسوم ب "تحليل الخطاب اللساني التمهيدي العربي دراسة وصفية تحليلية "اللسانيات العامة" أنموذجا" في محاولة متواضعة لتتبع بعض الخطابات اللسانية التمهيدية العربية والتي احتضنت اللسانيات كموضوع دراسة بهدف تقريبها من المتلقي العربي، منتهجين المنهج الوصفي التحليلي والذي يصف بدوره الظاهرة العلمية ثم يحللها لاستخلاص أهم الميزات العلمية فيها.

ونظرًا لتعدد الخطابات اللسانية التمهيدية العربية التي تناولت اللسانيات وسلطت الضوء عليها، فقد عمدنا إلى وصف بعض الخطابات التمهيدية وتحليها فاخترنا الخطاب اللساني التمهيدي لمحمود السعران "علم اللغة" والخطاب اللساني التمهيدي لمصطفى غلفان "في اللسانيات العامة"كأنموذجين في الدراسة التطبيقية.

ولما كانت كل البحوث الأكاديمية تتبني على إشكاليات تكون بمثابة الأرضية المركزية التي تنطلق منها للوصول إلى غايتها التي تأسست من أجلها،فقد بنينا بحثنا هذا على الإشكالية التالية:

بعد مرور أزيد من نصف قرن على دخول اللسانيات الغربية إلى الثقافة العربية، هل نجح الخطاب اللساني التمهيدي العربي في تقريبها من القارئ العربي وإقناعه بضرورة اعتمادها كدراسة علمية حديثة؟.

وقد تفرعت عن هذه الإشكالية الرئيسة بعض الإشكاليات الفرعية أهمها:

- ✓ ماهي أهم الظروف والملابسات التي ساهمت في ولوج الفكر اللساني الغربي إلى الثقافة العربية ؟
- ✓ ماهي أهم العوائق التي واجهت الدرس اللساني في الساحة العربية اللغوية؟
- ✓ ماهو شكل ومضمون الخطاب اللساني التمهيدي العربي الذي حاول تقريب اللسانيات الغربية من القارئ العربي؟.
- ✓ وإلى أي مدى نجح هذا الخطاب في التعريف بهذا العلم الحديث وتقريبه من القارئ العربي؟.
- ✓ وما هو شكل ومضمون الخطاب اللساني التمهيدي العربي لمحمود السعران "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"؟.
- ✓ و ما هو شكل ومضمون الخطاب اللساني التمهيدي العربي لمصطفى غلفان "في اللسانيات العامة"؟.
- ✓ ماهي أهم الميزات الخطابية عند كل منهما؟.

وقد سعينا في بحثنا هذا للإجابة عن كل هذه الأسئلة وفق خطة جعلناها لتنظيم مضمون البحث،حيث قسمنا بحثنا إلى فصل تمهيدي متبوع بفصلين آخرين ومقدمة وخاتمة.

أماالفصل التمهيدي والذي عنوناه ب: اللسانيات الغربية في الثقافة العربية، عرضنا فيه ولوج اللسانيات الغربية إلى الثقافة العربية إبان عصر النهضة العربية في مبحث جعلناه مدخلا تمهيديا للبحث، ثم في المبحث الثاني تتبعنا نشأة اللسانيات العربية،مبرزين أهم العوائق التي عرقلت تأسيس لدرس اللساني العربي.

أما الفصل الأول فقد خصصناه للخطاب اللساني التمهيدي العربي والذي عنوناه ب"الخطاب اللساني التمهيدي العربي، نشأته، أهدافه، " وتحدثنا فيه عن نشأة الخطاب

اللساني التمهيدي العربي وأهم رواده، أما المبحث الثاني فقد خصصناه لأهداف الخطاب اللساني التمهيدي وأهم مميزاته.

أما الفصل الثالث فقد كان بمثابة فصل تطبيقي والذي جاء تحت عنوان :"دراسة صفية تحليلية للخطاب اللساني التمهيدي لمحمود السعران ومصطفى غلفان" معتمدين في ذلك على مدونتيهما الخطابية اللسانية فكانت مدونة الدكتور محمود السعران"علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"و كانت مدونة الدكتور مصطفى غلفان"في اللسانيات العامة" فتحدثنا عن شكل ومضمون الخطاب التمهيدي لمحمود السعران"علم اللغة" مستخلصين بذلك أهم مميزاته الخطابية،و هذا بالنسبة للمبحثالأول ، أما المبحث الثاني فخصصناه للخطاب التمهيدي لمصطفى غلفان فتحدثنا عن شكل ومضمون مدونته الخطابية "في اللسانيات العامة" وذيلنا البحث بخاتمة ضمناها أهم النتائج التي توصلنا لها خلال مسارنا في بحثنا هذا,

ومن بين المراجع التي اعتمدنها في هذا البحث،والتي تناولت بدورها الخطاب اللساني التمهيدي العربي بالوصف والتحليل:

- "اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته" لدكتور حافظ إسماعيل علوي.
- "اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية" و"في اللسانيات العامة" لدكتور مصطفى غلفان
- "تحليل الخطاب اللساني: أعمال ميشال زكريا أنموذجا" لدكتورة هبة خياري.
- "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"لدكتور محمود السعران.

وقد كانت من بين الدوافع الموضوعية التي حفزتنا على اختيار هذا البحث كالتالي:

- ✓ كثرة الخطابات اللسانية العربية التمهيدية مقابل إعراض المتلقي العربي عن اللسانيات .
- ✓ محاولة كشف الغطاء عن الأسباب التي عرقلت مسار اللسانيات في الثقافة العربية.

✓ محاولة معرفة الأسباب التي جعلت القارئ العربي يصُدّعن اللسانيات الحديثة.

هذا كان بالنسبة إلى الدوافع الموضوعية أما الدوافع الذاتية فكانت حول رغبتنا في الكشف عن الأسباب التي كانت تصعب علينا فهم الدرس اللساني واستيعابه بصورة جيدة كوننا طلبة جامعيين،وفي معرفة فيما إذا كانت هذه الأسباب تعود إلى الصورة التي نكونها في أذهاننا اتجاها اللسانيات باعتبارها علم غربي، أم إلى إشكالية المصطلح اللساني المبهم،أم إلى الطريقة التي كنا نتلقاها من قبل الأساتذة، وغيرها من الأسباب التي سعينا إلى معرفتها من خلال هذا البحث.

وكأي بحث لا يخلو من أهدف وغاية، فإن هدفنا وغايتنا من هذا البحث هو ترك بصمة علمية تبقى خالدة بعد فنائنا بالمساهمة ولو بجهد بسيط في إبراز دور الخطاب اللساني التمهيدي العربي في تقريب اللسانيات من القارئ العربي وإقناعه بضرورة احتضانها كدراسة علمية لغوية جديدة,

أما بالنسبة إلى العوائق فليس هناك بحث إلا وتواجهه عوائق أثناء مساره البحثي،فكانت من بين العوائق التي واجهناها في رحلة بحثنا قلة المصادر المراجع خاصة وأن مكتبتنا فقيرة من المراجع اللسانية والتي لها علاقة بموضوع بحثنا، هذا من جهة وصعوبة تجميع المادة العلمية بسبب حداثة الموضوع من جهة أخرى، إذ لم نجد إلا القلة القليلة ممن تناولوه وكان من أبرزهم الباحثين المغاربة أمثال مصطفى غلفان وحافظ إسماعيل علوي، كذلك ضيق الوقت.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد ساهمنا ولو بجزء بسيط في إبراز الأسباب التي بقيت عائق أمام تلقي اللسانيات في الثقافة العربية وكشف الغطاء عن الواقع الراهن للسانيات العربية.

<u>الفصل التمهيدي</u>: اللسانيات الغربية في الثقافة العربي

<u>المبحث الأول</u>: ولوج اللسانيات الغربية إلى الثقافة العربية

<u>المبحث الثاني</u>: نشأة اللسانيات العربية

المبحث الأول:ولوج اللسانيات الغربية إلى الثقافة العربة

تمهيد:

لما كان من سنّة الكون الامتزاج، والاندماج بين الحضارات والثقافات وتبادل المعارف والأفكار، كان من نتائج هذه السنّة التقاء الحضارة الغربية بالحضارة العربية، الأمر الذي أدى إلى ولوج الفكر اللّسانيّ الغربي إلى الساحة اللغوية العربية، حيث أخذ الدرس اللّسانيّ العربي في بدايات القرن العشرين يشقّ طريقه تدريجياً إلى الميدان الثقافي العربي والذي شهد بدوره حركة واسعة في تقريب اللّسانيّات الغربية إلى القارئ العربي، وجعله يعتمدها كمنهج جديد في دراسة اللّغة وتطويرها.

فاللّسانيّات هي إحدى العلوم الفتية التي اقتحمت الثقافة العربية بردائها الغربي، وقد استطاعت بما قدمته من نتائج علمية ميدانية في دراسة اللّغات وتطويرها أن تجتاح باقي الثقافات التي لم يكن أمامها إلاّ أنّ قبلتها وفتحت لها الأبواب، والثقافة العربية تعدّ من بين الثقافات التي فتحت الأبواب للّسانيّات الغربية، وحاول روادها العرب أن يؤسسوا على منوال الثانية درساً لّسانيّاً عربياً حديثاً على غرار اللّسانيّات الغربية.

إنّ محاولة الرواد العرب منذ منتصف القرن المنصرم بناء درس لّسانيّ عربي حديث لم يكن سهلاً مع وجود ذخيرة لّغوية تراثية الأمر الذي صعّب عملية النشأة والتأسيس ومع ذلك استطاع هؤلاء الرواد احتواء اللّسانيّات الغربية وتأسيس درس لّسانيّ عربيّ حديث رغم كل العقبات التي واجهتهم، وعليه ولكي ندرك حقيقة الدرس اللّسانيّ العربيّ لابد من النبش في ذاكرة الثقافة العربية الحديثة"بالاستقراء الدقيق للملابسات التي تحف عملية الالتقاء بين الثقافتين الوافدة والمتقبلة، لأنّ من شأن قنوات التقبل أنّ تشكل المعرفة على نحو ما، ربما انتهت إلى صياغتها صياغة مفارقة لهيئة تشكلها الأولى، لأنّ استثمارها في مقام جديد يطعمها من رواسب المقام بما يحقق فيها وجهاً ما من الجدّة، ثم إنّ قنوات تقبل المعرفة موصولة بالسنين المعرفية التي تترسخ في المجتمع، فتفتح للمعرفة أُفق تقبل بمقتضاه يعرض عن تلك المعرفة أو يقبل عليها، ويسارع إليها أو يحترز منها، ومن ثم تتخذ بحكم

تلك الملابسات التي تبقى وحدها طيعة لتسلكها المعرفة الوافدة."[1] فلا يمكن فهم الواقع للراهن الدرس اللّسانيّ العربي الحديث إلاّ باستنباط الدقيق لعملية التقابل الحاصل بين الثقافتين العربية والغربية، وهذا الاستنباط يجعلنا نغوص في تاريخية تَكَوُنْ الخطاب اللّسانيّ في الثقافة العربية.

إنّ المتتبع لمسار الدرس اللّساني العربي يصادف مجموعة من الإرهاصات والملابسات التي مهدت لبدايته، وهذا ما أكدته فاطمة بكوش أنّ"الحديث عما يعرف باللّسانيّات العربية أو الدرس اللّسانيّ العربي الحديث ينبغي أن يقتصر على جملة من المؤلفات والدراسات اللّسانيّة التي ألفها اللّسانيّين العرب، منذ منتصف أربعينيات من القرن العشرين، وفيها بدأ التعرف على مناهج النظر اللّسانيّ الغربي الجديد."[2] فالتأصيل لواقع اللّسانيّات في الثقافة العربية يدفعنا إلى الغوص في الذاكرة التاريخية للمصادر والمحطات الزمنية والمعرفية للكشف عن البوادر الأساسية، التي مهدت لتأسيس درس لساني عربي، والتي ساهمت في إعطاء فرص الانفتاح على الدرس اللّسانيّ الغربي، ويمكن رصد هذه المصادر والمحطات في النقاط التالية :

أولاً: عصر النهضة الفكرية وما تبعه من نقل وترجمة وإصلاح لّغوي.

ثانياً: مرحلة الإستشراق ودورها في مد جسور المعرفة اللّسانيّة .

ثالثاً: مرحلة نشأة الدرس اللّساني العربي، والتي سنعالجها في موضع آخر من بحثنا هذا.

---

[1]– حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية في قضايا التلقي وإشكالاته، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت، لبنان، 2009، ص19، نقلًا عن حسين السوداني، أثر فرديناند دي سوسير، في البحث اللغوي العربي، ص 17.

[2]– فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني الحديث، دراسة في النشاط اللساني العربي، ط1، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2004، ص12.

أولاً- عصر النهضة الفكرية:

كان عصر النهضة الفكرية العربية بمثابة مرحلة المخاض الذي أفرز أهم التمهيدات لفتح أبواب الثقافة العربية أمام اللّسانيّات الغربية بما حمله من أفكار و رؤى نهضوية تجديدية، كان لابد منها بعد ما وصل الفكر اللّغوي العربي إلى أدنى مستوياته، ومن أهم مظاهر عصر النهضة:

1- تجديد الفكر اللغوي:

كان الفكر اللّغوي قد وصل إلى أردى صوره في مرحلة الحكم العثماني، لأنّ الحكام حالوا دون تطوره، وأغلقوا عليه أبواب التجديد، سعيا منهم إلى إحلال اللّغة التركية مكان اللّغة العربية، ومع زوال الحكم العثماني سارع مفكرو عصر النهضة إلى النهوض باللّغة العربية خاصة عندما بدأ يحدث التقاء بين الثقافة العربية والثقافة الغربية، هذا الالتقاء الذي كشف عن مدى اهتمام الأوروبيين بلغاتهم، وسعيهم الجاد إلى تطويرها منذ عصر نهضتهم وما ذاك إلاّ كما قال مصطفى صادق الرافعي "أمّا اللّغة هي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها وجودا متميزا قائماً بخصائصه فهي قومية الأمة، تتحدى الأمة في صورة التفكير وأساليب أخذ المعنى من المادة ، وعمقها هو عمق الروح، ودليل الحس على ميل الأمة إلى التفكير والبحث في الأسباب والعلل."[1] فاللّغة هي المرآة العاكسة لثقافة الأمم وحضارتهم، وهي الوعاء الذي يحتوي فكرهم على اختلاف توجهاتهم وتعدد منابعهم، وهي الرباط القومي الذي يحافظ على كيان الأمة وقوتها، ودليل على قوة الملكات العقلية داخل تلك الأمة، وهذا بالضبط ما أحسه وأدركه مفكرو عصر النهضة العربية، وما دفعهم إلى إقامة مشروع نهضوي إصلاحي هدفوا من خلاله إلى إصلاح الفكر اللّغوي. "فمن الطبيعي أن يرتبط تطور الحياة السياسة و الفكرية بتطوير اللّغة نظراً لما لها في كل عصر ومكان من دور فعال في كل نهضة شاملة وحقيقية. وبقدر ما تتصدع الحياة السياسية والاجتماعية ينعكس ذلك على المستوى الفكري واللّغوي مثلما حصل للّغة العربية عبر تاريخها

[1]- مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، موفم للنشر، الجزائر،2007، ج3، ص36.

الطويل."[1] الأمر الذي دفعهم إلى إقامة مشروع نهضوي إصلاحي، هدفوا من خلاله إلى إصلاح الفكر اللغوي وذلك بإحيائه وتجديده وتخليصه من قيود الفكر التقليدي الذي يقدس التراث القديم.

وقبل أن نكشف الغطاء على المشروع اللّغوي الإصلاحي لابد أولاً أن نكتشف الدوافع الحقيقية التي كانت وراء إطلاقه حتى نقتنع أنّ إطلاقه كان ضرورة لابد منها.

2- دوافع المشروع الإصلاحي النّهضوي:

هناك جملة من الدوافع الملحة التي كانت وراء إطلاق المشروع، عاينها المفكرون وتفاعلوا معها وسنجملها في ثلاثة عناصر أساسية، ونشير هنا إلى كتاب مصطفى غلفان"اللّسانيّات في الثقافة العربية :حفريات النشأة والتكوين" والذي تعرض فيه لعصر النهضة الفكرية بشي من التفصيل، وقد حذونا حذوه في تحديد العناصر التي كانت وراء إطلاق المشروع اللّغوي الإصلاحي.

أ. الشعور بالقومية:

كانت المسألة اللّغوية هي الأساس الذي بني عليه المفكرون فكرة الوحدة العربية لما أدركوا أنّ الأمة بدأ يصيبها نوع من الانفصال وأن اللّغة ستكون رابطاً متيناً يعيد لها تماسكها، خاصة بعدما تشكل عندهم كما قال عبد السلام المسدي"وعي تام بأنّ الحركة الاستعمار القديم قد سعت بإصرار إلى زعزعة المرجعية اللّغوية "[2] ذلك أنّ الاستعمار القديم قد ركز على أهم المرجعيات التي تشد أطراف الأمة، كالمرجعية الدينية والمرجعية الفكرية والمرجعية اللّغوية.

باتت اللّغة والقومية كالجسد والروح يشكلان مسألة الوجود العربي الذي كان من أهم تحديات الحضارة الجديدة، حضارة تبحث عن وعاء متين يحويها، يقويها ويقوى بها فما كان على النهضويين إلاّ العمل كما قال حافظ إسماعيل علوي على رد"الاعتبار للّغتهم وبعث

[1]- مصطفى غلفان، نشأة اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ط1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ص07.

[2]- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ط3، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان،2009، ص11.

الروح فيها من جديد حتى تستجيب لمقتضيات الحضارة الحديثة"[1] والتي أفرزت العديد من الثنائيات (الشكل/المعنى) فكان لزاماً على اللّغة العربية أنّ تحتوي تلك الثنائيات وتتجاوب معها.

ب.الانفتاح على الثقافة الغربية:

إنّ أولى إرهاصات التغيير بدأت بحملة نابليون بونابرت (1976-1821) والتي"شكلت على مصر البداية الفعلية لانفتاح الثقافة العربية على الثقافة الغربية، كما كانت إيذاناً بتحولات جذرية عميقة مهدت للتخلص من ذائقة الاستبداد العثماني، ويمكن أنّ نلخص هذه التحولات والتي كانت لها علاقة بالجانب اللّغوي في مسألتين جوهريتين - أ -الإحساس بأهمية الماضي ...- ب - تنامي الشعور القومي."[2]، فانفتاح العرب على الثقافة الغربية بعد الحملة الفرنسية على مصر أثّر تأثيرًا كبيراً، انعكس على الفكر اللّغوي العربي، بسبب ما خلفه من معالم التقدم الفكري كالمعاهد العلمية التي أنشأها الفرنسيون كما يذكر جرجي زيدان "في القاهرة مدرستان لتعليم أبناء الفرنسيين المولودين بمصر، وجريدتان فرنسيتان ومسرحاً للتمثيل ومجمع علمي مصري"[3] بالإضافة إلى الدور الكبير الذي لعبته المطبعة والتي كما يذكر عمر بن قينة"طور منها محمد علي حاكم مصر مطبعة بولاق المشهورة سنة (1237هـ-1821م) التي ارتكزت عليها حركة الطبع والنشر."[4] حيث كانت المطابع الوسيلة الوحيدة التي تنشر الفكر والوعي، وذلك بتوفير الوقت و الجهد في القرن التاسع عشر.

لقد مكنت النافذة التي فتحت بين الثقافتين المفكرين النهضويين من تنسم ريح التجديد وأيقظت في عقولهم فكرة الثورة على التراث اللّغوي العربي، ذلك التراث العربي الذي لم يعد يؤتى أكله في عصر النظريات والمناهج الحديثة، وهنا يمكننا أن نستدل بكلام العالم اللّغوي روبنز (ROBENZ)الذي استشهد به الدكتور حافظ إسماعيل علوي على أنّ التغير والتجديد الفكري ينطلق من مرحلة تسمى عصر النهضة فيقول"لاحظ عالم اللّسانيّات روبنز أنّ معظم

---

[1]- حافظ إسماعيل علوي، اللّسانيّات في الثقافة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص23.

[2]- المرجع نفسه، ص22، بتصرف.

[3]- جرجي زيدان، تاريخ أدب اللغة العربية، موفم للنشر،الجزائر ،2007، ص15.

[4]- عمر بن قينه، الأدب العربي الحديث، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،1999، ص27.

السّمات التي تميز التاريخ المعاصر في الغرب قد نشأ في عصر النهضة واستمر دون انقطاع حتى الوقت الراهن، وأنّ الكثير من تلك السمات كان لها تأثير مباشر في الاتجاهات التي اتخذتها الدراسات اللّغوية فيما بعد، والواقع أنّ ما لاحظه روبنز بالنسبة إلى عصر النهضة في الغرب، يمكن تعديته إلى عصر النهضة العربية، وما صاحبه من ردود أفعال كان للجانب اللّغوي حظه الوافر منه"[1] فعصر النهضة العربية كما قال علوي نتج عنه الكثير من المبادرات التي غيرت مسار الدراسات اللّغوية فيما بعد.

ت. الترجمة:

يقول حافظ إسماعيل علوي:"إنّ اللّحاق بالغرب المتقدم استوجب الاطلاع على الثقافة الغربية وهذا المطلب لا يمكن أن يتحقق إلاّ بالترجمة عن اللّغات الغربية، فشكلت قضية الترجمة ومشاكلها أحد الاهتمامات البارزة عند النهضويين خصوصاً ما تعلق من ذلك بإيجاد المقابلات العربية التي تعبر عن اللّفظ الأجنبي تعبيراً دقيقا."[2] وهذا كان من خلال "البحث في المصطلحات والتعابير العربية الجديدة الملائمة للمعلومات والألفاظ المنقولة عن اللّغات الأجنبية"[3] فقد تمكن بذلك النهضويون المفكرون من إطلاق مشروع إحياء اللّغة العربية وتجديدها وإعادة بعث الروح فيها، وإنمائها استجابة لمواكبة العصر الجديد، فكانت الترجمة بذلك قد دقت ناقوس الخطر الذي كان يهيمن على اللّغة العربية ويتسلط الضوء عليها، وهي في أردى مستوياتها.

فمن المؤكد أنّ أي نهضة في التاريخ لا تخلو من حركة النقل و الترجمة، أمّا الترجمة التي عرفها العرب في عصر نهضتهم ذات وجهين، "أحدهما محمولات الترجمة من معارف مستفادة، والثاني لّغة الترجمة العربية "[4] فالوجه الأول جعل اللّغة العربية تواجه التحدي حيث ألزمت باستيعاب المعارف والعلوم الحديثة، أما الوجه الثاني فقد مكنها من التوسع أكثر واكتساب مرونة أكبر، حتى تكون جديرة بمواكبة العصر واحتواء مستجداته، فالوجهين "مطلبان مرتبطان، ولكن يحسن تمييز القول في كل منهما، لأنّ الأول يمثل في الأصل

---

[1]– حافظ إسماعيل علوي ،اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، مرجع سابق ،ص19،20.

[2]– المرجع نفسه، ص24.

[3]– مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، مرجع سابق، ص08.

[4]– نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث، ط1، دار الشروق، عمان، 2007، ص85

الغاية، رافداً للعربية تعنى به، إذ هو مدد معرفي لها، وعامل في حيويتها وحياتها بل تطويرها تطويراً ذاتياً، والثاني يمثل ما تدخله الترجمة على الصورة العربية في نظام بنائها"[1] لقد أدت الترجمة دورين أساسيين خلال عصر النهضة، تمثل الدور الأول في"تحصيل العلوم الأوروبية الحديثة ونقلها إلى العربية"[2]والثاني قد تمثل في"فتح الباب أمام دخول ألفاظ جديدة إلى اللّغة العربية"[3]وبهذا تكون حركة النقل والترجمة قد ساهمت مساهمة فعاله في تنشيط الوعي العربي وإعادة النظر في لّغة فكرهم التي أصيبت على مستوى الألفاظ والمعاني بنوع من التقهقر ولانكماش.

ومما سبق نخلص إلى أنّ مشروع الإصلاح اللّغوي كان نتيجة لتراكم بعض الدوافع التي ذكرنا بعضها ولم نذكرها كلها، لأنّ المقام لا يتسع لذلك.

3-تجليات الإصلاح اللغوي العربي:

لقد شمل مشروع الإصلاح النهضوي في عصر النهضة عدة ميادين، كانت منها الفكرية والأدبية، وقد كانت اللّغة بمثابة المحرك الأول لهذا الإصلاح، إذ أنّ الإصلاح وإعادة التأسيس لا بد له من محرك، ليحقق أهدافه ومراميه، لتكون اللّغة بذلك هي الوعاء الذي يحتوي هذا الإصلاح، لأنّ "ثورة التجديد تبدأ من اللّغة وطرائق دراستها واستخدامها."[4] فمن المؤكد أنّ الإصلاح و إعادة التجديد في كل المجالات لا يمكن أن يتحقق، إلاّ بعد أنّ يمتطي جسر اللّغة، والتي تعمل على تجسيده وترسيخه والمحافظة عليه، لتبعث فيه روح الحداثة والتجديد. ولهذا "كان من طبيعي أن يسعى اللّغويون إلى إعادة الاعتبار للّغتهم وبعث الروح فيها من جديد، حتى تستجيب لمقتضيات الحضارة الحداثية."[5] ولمواكبة العصرنة آنذاك.

---

[1]- نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث، مرجع سابق، ص85.

[2]- مصطفى غلفان ، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، مرجع سابق، ص08

[3]- المرجع نفسه، ص08

[4]- زكي نجيب محفوظ، تجديد الفكر العربي، ط9، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص205.

[5]- حافظ إسماعيل غلوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص23.

فمن الطبيعي أنّ انحطاط اللّغة يؤدي إلى انحطاط الفكر اللّغوي وجموده، لذا فقد"وازى تخلف اللّغة العربية تخلف الكتابة وفسادها."[1]ولم يبقى في الساحة الأدبية والفكرية سوى تلك الدراسات التي كانت تنبعث من كتب التراث، التي استغلقت على الطلاب والباحثين، في الوقت الذي شهدت فيه الدراسات والأبحاث اللّغوية تطوراً رهيباً في الجامعات الغربية لاستحداث المناهج وظهور النظريات المختلفة، وهذا مادفع بالمفكرين النهضويين إلى التجديد لّغتهم و إعادة بعثها.وعلى هذا فما هي المجلات والميادين العلمية التي مسها الإصلاح اللّغوي؟.

أ. تجديد المعجم العربي:

لقد كانت حركة الترجمة دافعاً أساسياً لقيام الثورة على المعجم العربي، هذا الذي بقي عاجزًا أمام مصطلحات الحضارة الجديدة، التي تدفقت بقوة على الثقافة العربية، فقد كان له أحد أسباب اندلاع ثورة الإصلاح التي نادى بها لغويو عصر النهضة العربية، يقول حافظ إسماعيل علوي "لما كان المعجم أحدد الأسس المكينة التي يمكن أن تنطلق منها عملية الإصلاح، فقد حظي بعناية واهتمام كبيرين من خلال الاهتمام بالجانب الجمالي للّغة العربية، في محاولة جادة لتخليصها من رواسب عصر الانحطاط، والعودة بها إلى سالف عهدها، وهذا ينم عن إدراك عميق لدور اللّغة الفاعل في حياة الأمة، ومن اللّغويين الذين ركزوا على هذا الجانب: احمد فارس الشدياق(1804-1887م)، وبطرس البستاني(1819-1883م)، وإبراهيم اليازجي(1847م-1906م)،...وغيرهم."[2] ممن الذين ثاروا على المعجم القديم وحاولوا إعادة ترتيب محتوياته وتيسيرها على القارئ العربي.

هذا وقد بقي المعجم العربي عاجزا أثناء مواصلة مهمته الفكرية واللغوية وهو يتعرض لموجة من الانتقادات، فقد انتقد الشدياق طريقة القدامى في ترتيبهم للمعجم من خلال معجم القاموس للفيروز أبادي فهو يرى أن القدامى"قد صنفوا ونفعوا وأفادوا،غير أنهم آلفو الكتب

[1]-مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، مرجع سابق، ص21.

[2]- المرجع نفسه ص13، بتصرف.

على حسب أفهامهم و أذهانهم، فاختصروا وأوجزوا وأشاروا ورمزوا."[1]حسب ما يخدمهم ويخدم أبناء عصرهم،أما بطرس البستاني،فقد اختار هو الأخر قاموس(المحيط) ليطلق منه ثورته التجديدية ،هادفا إلى وضع "معجما بسيط المضمون سهل التناول يخدم العربية ويعيد لها رونقها ."[2]لان التجديد في المعجم يعني التجديد في المصطلحات وكذلك التجديد في طريقة صناعة المعاجم، فقدساهم معجم(محيط المحيط) لبطرس البستاني مساهمة فعالة في إحداث التجديد والنهوض باللّغة وصناعة المعاجم الحديثة ونقلها من التقليد إلى التجديد والتطور.

وليس بعيدا عن (محيط المحيط) نجد معجم(البستان) لعبد الله البستاني الذي شارك "مشاركة فعالة في تطوير المعجم العربي، وفي نقله من وضعه التقليدي القديم ،إلى وضع حديث أكثر مرونة وشمولية وانفتاح"[3] وقد كان لإبراهيم اليازجي، دورا فعالا هو الأخر في الإتيان بكل ماهو جديد وحداثي من ألفاظ وطريقة في التأليف، فقد كانت "له من الألفاظ الحقيقية التي تتهالك عليها الأقلام بشيء كثير منه: المجلة، والبيئة، والحساء، والدراجة، والحاكي واللولب، والشعار"[4] ليتذوق بذلك المعجم العربي من طعم التجديد الحداثة.

بغض النظر عما إذا كان هؤلاء النهضويين المعجميون قد أصابوا من روح التجديد أم لا، يكفي أنهم أحدثوا ثورة على المعاجم القديمة، والتي كانوا يهدفون من خلالها إلى"تبيان قدرة اللّغة العربية على استيعاب ألفاظ الحضارة الجديدة، والمصطلحات، الفنية والعلمية، مثلما هو الأمر في باقي اللغات"[5]هذا وقد أشاد الدكتور إسماعيل علوي بجهد المعجميين النهضويين، حين قال "تظهر القراءة الفاحصة لمعاجم النهضويين، معرفتهم

---

[1]– حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص24، نقلاً عن احمد فارس الشدياق، الجاسوس على القاموس، ص3.

[2]– مبروك زيد الخير، محاضرات في قضايا المعجم العربي.لاقتها بالدرس اللساني الحديث، 1، دار الوعي، الجزائر 2011، ص174.

[3]– أحمد محمد المعتوق، المعاجم اللغوية العربية، ط1، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2008، ص57.

4– مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، مرجع سابق، ص14، نقلاً عن، أمين نخلة، الحركة اللغوية في لبانان في الصدر الأول من القرن العشرين، ط2، 1958[1947]، ص3.

[5]– المرجع نفسه، ص13.

العميقة، وإطلاعهم الواسع على المعاجم القديمة، وطرائق وضعها وتصنيف موادها"[1] فلولا استيعابهم وفهمهم الدقيق للمعاجم القديمة، و ارتوائهم من نبع نهرها، لما تمكنوا من الكشف عن غطاء النقص والعجز فيها.

ب.المدارس وتدريس اللغة العربية:

لقد نالت اللّغة العربية نصيبها الوافر من المشروع اللّغوي الإصلاحي ، ف"إلى جانب اهتمام النهضويين بقضايا المعجم والترجمة، فقد اهتموا أيضا بقضايا تعليم اللّغة، خصوصا بعد انتشار التعليم على نطاق واسع، مما فرض البحث عن مناهج جديدة، تستجيب لحاجات الشيء، ولتحقيق هذا المسعى انصبت عنايتها على تيسير العربية متنا، وقواعد كتابة، وعلى استنكار العلل النحوية."[2] فقد رأى النهضويون أنّه السبيل إلى إحياء اللّغة العربية، وبعثها من جديد، إلا أنّ تكون هي لّغة التعليم في المدارس "الأمر الذي يؤدي إلى تقوية ملكة اللّغة في الطالب، ويبعده ما أمكن من التراكيب العامية، ويمنع اللّهجة الأجنبية التي تستحكم من خاطره، وتقوى على لسانه، ويمهد له الطريق للإنشاء، فلا يشعر كأنّه يكتب بلّغة غير لّغته"[3] ومن الذين ساهموا في إصلاح المنظومة النحوية، وتبسيط مفاهيمها على المتعلمين رفاعة الطهطاوي، فقد كان "من بين الأوائل الذين اهتموا باللّغة العربية، ونهضوا لدراستها وتجديد أمورها، وإزالة ما أصابها من جود في المفردات، وتعقيد في الأساليب والتراكيب"[4] فقد أدرك الطهطاوي كما قال جمال الدين الشيال"أنّ الكتب التي بين أيدي التلاميذ غير صالحة، فبدأ يضع بنفسه كتباً جديدة، هي الخطوة الأولى بحق، في سبيل النهضة بالكتب المدرية في تاريخنا التعليمي، وكان رفاعة الطهطاوي يسترشد في عمله الجديد بما رأى، وما درس من كتب في أثناء تلقين العلم في فرنسا."[5] ليكون بذلك عمل الطهطاوي في إصلاح

[1]– حافظ إسماعيل علوي،اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، مرجع سابق،.ص24.

[2]– المرجع نفسه، ص24، 25.

[3]– محمد صالح الصديق،مستقبل اللّغة العربية، دار هومة لطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2007، ص134.

[4]– مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، مرجع سابق، ص21.

[5]– جمال الدين الشيال، سلسلة توابع الفكر العربي، ط2، دار المعارف، مصر، ص56.

النحو وتبسيطه محفزاً على الاطلاع على الكتب الفرنسية، ليكون بذلك "أول مظهر من مظاهر التلاقح بين الثقافتين العربية والفرنسية."[1] خلال بعثته العلمية.

لقد سار على نهج رافع الطهطاوي حسين المرصفي، الذي شاركه في حمل لواء الثورة على الكتب النحوية القديمة "فقد عمد المرصفي إلى بعض المداخل النظرية التي ركز فيها على بعض التعريفات الموجزة، مثل تعريف اللّغة، والصرف، والاشتقاق، والنحو،...كما عمد الكاتب إلى التركيز على الأمثلة التوضيحية."[2] لتبسيط المنظومة النحوية، وتيسيرها على طلاب المدارس، فألف بذلك خطابه (تقريب فن العربية إلى المدارس الابتدائية) والذي تأثر فيه بمنهج الطهطاوي، ويظهر هذا التأثير من خلال لفظة (تقريب) التي ضمنها الطهطاوي في عنوان أنّ خطابه (التحفة المكتبية لتقريب اللّغة العربية) كما أنّه "ليس على متصفح الكتاب أنّ يلمس تأثر مؤلفه بمنهج رفاعة في كتابه، حتى كلمة تقريب العربية وهي تشير إلى العنصر التجديد، والتيسير في الكتاب ضمنها المؤلف عنوان كتابه. "[3]بغض النظر عن التأثير والتأثر، فقد استطاع كل من الطهطاوي وقرينه حسين المرصفي ومعاصريه، من إخراج النحو العربي من بوتقة الكتب التراثية، التي باتت كالطيف الذي يطغى على أذهان الطلاب، فتمكنوا من إصلاح المنظومة النحوية وتبسيطها وإخراجها من تلك الكتب القديمة الصفراء المثقلة بالحواشي والشروح والتقارير والردود.

ت.أحياء التراث اللغوي العربي:

لم يغفل النهضويون تراثهم وهم يتطلعون إلى الفكر الوافر من أوروبا، بل كان تراثهم بمثابة الدعامة الأساسية لفكرهم، فقد كان سبب في نشاطهم وهم يتبعون طريق التجديد،لأنّه كان المنبع الذي يستقون منه، كما جعلهم يسعون في حركة جادة إلى إحيائه.

لقد تمكن النهضويون من إحياء تراثهم وبعث روح الحياة فيه"فطبع كتاب (الأغاني)لأبي فرج الأصفهاني و(نهاية الإرب)لنوري،وكتاب(الحيوان)للجاحظ و(وفيات الأعيان)لابن

[1]– مصطفى غلفان،اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، مرجع سابق، ص22.

[2]– حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص27.

[3]– عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، كويت، 1985، ص62.

الحلكان، (وإحياء العلوم) للغزالي، و(إسرار البلاغة)و(دلائل الإعجاز)للجرجاني."[1] وغيرها من الكتب التراثية التي كانت حبيسة المكتبات في شكل مخطوطات.

ث.إنشاء المجامع اللغوية:

لقد صاحب نقل والمعارف من العلوم الحضارة الغربية إلى العالم العربي إنشاء المجامع اللغوية، وذلك لإنتاج المصطلحات الحضارية التي لم يعرفها العرب في لغتهم، وظهرت المجامع في كل من القاهرة، ودمشق وبغداد، واعتبرت كما يقول الدكتور عبد المجيد عيساني "المؤسسة ذات الصلاحية الأساسية والقانونية لنظر في المسائل المطروحة في المجال اللّغوي كما قال محمد الصندوق، ومنها القضايا النحوية العربية."[2] حيث سعت إلى تبسيط النحو بما يناسب المدارس"وتنمية اللّغة العربية بما يستجيب لحاجيات التطور الحضاري من الألفاظ المحدثة، واعتبرت قرارات مجمع اللّغة العربية بالقاهرة من أهم الآراء التي تعبر عن هذه المسالة."[3] على اعتبار إنّ القاهرة كانت مركز الفكر في الوطن العربي بسبب وجود الأزهر مهد النهضة العربية.

وبهذا نكون قد انتهينا من الكشف عن أهم العناصر التي اعتبرناها من تجليات المشروع اللّغوي الإصلاحي النهضوي، والذي كان يسعى بأصحابه للنهوض باللّغة العربية وإخراجها من بحر الجمود والانكماش والتقوقع التي كانت غارقة فيه بسبب سياسة الحكومة العثمانية في إحلال التركية مكان العربية،وهو رافع الطهطاوي.

4- مساهمة الطهطاوي في تجديد الفكر اللغوي العربي:

لقد كان "رافع الطهطاوي (1810م-1873م) من بين النهضويين الأوائل الذين اهتموا باللغة العربية، ونهضوا لدراستها وتجديد أمورها، لإزالة ما أصابها من جمود في المفردات والتعقيد في الأساليب والتراكيب."[4] فكان رافع الطهطاوي من ابرز رواد عصر النهضة الفكرية، حيث كانت له مساهمة فعالة في التقاء الثقافة العربية والغربية، وفتح باب التجديد

---

[1]- عمر بن قتينة، الأدب العربي الحديث، مرجع سابق، ص39.

[2]- عبد المجيد عيساني، النحو العربي بين الأصالة والتجديد، ط1، دار ابن حزام، لبنان، ص255.

[3]- محمد شندول، الشاهد(citation) النموذج في العالم العربي المعاصر، الشاهد والمثل في كتب النحويين والمعجميين العرب، مركز البحث في المصطلح والترجمة بجامعة ليون، دار وكتب الهلال، بيروت،2010، ص214.

[4]- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، مرجع سابق، ص20.

في تأليف الكتب النحوية خاصة ماهو موجه منها إلى طلاب المدارس، أي الكتب التعليّمة بعد الخطر الذي أحاط باللّغة العربية، بسبب استغلاق المفاهيم النحوية القديمة على الطلاب "فكان لرحلة الطهطاوي إلى فرنسا...أكبر الأثر في اهتمامه باللّغة العربية والعمل على إحيائها وتنميتها."[1] وبعد عودته من رحلته إلى فرنسا حاول أنّ يثور على طرق التدريس القديمة وكذا الكتب التي كانت مقرر على الطالب، وما ذلك إلا إيمانه أنّ إحياء اللّغة وتنميتها لا يكون إلاّ من خلال إصلاح المنظومة التعليمية، خاصة بعدما رأى عمل اللّغويين الفرنسيين في تدريس لّغتهم واهتمامهم الكبير بتطويرها، وتنميتها لتواكب حضارتهم المادية والفكرية فقد"حاول الطهطاوي في مذكرته (تخليص الإبريز في تلخيص باريس)أن بنقل للقارئ العربي كل ما شاهده أثناء رحلته إلى فرنسا، وما رآه من مظاهر الحياة الفرنسية."[2]

لقد أحدث الطهطاوي ثورة على كتب النحو القديمة في شكلها ومضمونيها، وذلك بتأليفها لكتابه الذي ضمنه أفكاره الإصلاحية التجديدية، والذي اسماه (التحفة المكتبية لتقريب اللّغة العربية) فقد نادى من خلال هذا الكتاب إلى ضرورة التجديد في طرق تأليف كتب العربية وخاصة ماله علاقة بالنحو وهذا ما صرح به في مقدمة كتابه "رسالة في النحو سهلة المآخذ لدراسة المدارس الخصوصية والأولية."[3] وفي موضع أخر يقول ل"تفي بالمرام لجزالة اللّفظ وحسن الانسجام، لاسيما وأنّها مسوغة على أسلوب جديد."[4] وبهذا يكون الطهطاوي قد أدى دوراً أساسياً في إحياء المنظومة النحوية، وإعادة تلقينها للطلاب بقالب جديد يختلف عما كانوا يتلقوه من كتب التراث القديمة.

4-1- مميزات الخطاب اللغوية الطهطاوي:

خالف الطهطاوي في خطابه اللّغوي المتمثل في(التحفة المكتبية)طريقة معاصريه من علواء الأزهر في الشروح والحواشي والتعليقات والتقريرات، فجاء الكتاب بسيط العبارة، سهل

---

[1]- مصطفى غلفان، اللّسانيّات في الثقافة العربية الحديثة، مرجع سابق، (مقدمة).

[2]-المرجع نفسه، ص22.

[3]- رافعة رفاعة الطهطاوي، التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية، تحقيق محمد فهمي حجازي، دار الفكر العربي،القاهرة،1973، (المقدمة).

[4]- المرجع نفسه، (مقدمة).

الغرض، ليس له من متن أو شرح، كما استخدم فيه لأول مرة الجداول الإيضاحية." [1] وهذا ما يجعلنا نقول أنّ الطهطاوي جدّد على مستوى الشكل ولم يجدّد على مستوى المضمون وإذا كان لجوء الطهطاوي للجداول الإيضاحية واستعانته بها أمرا لافتا لنظر في تاريخ النحو العربي الطويل، فإنّ عناصر التجديد المنهجي في التحفة تتجلى أساسا في مستوى كيفية تناول الطهطاوي (التحفة المكتبية) في النقاط التالية كما ذكرها عبد الوارث سعيد:

"1- استخدام لّغة مباشرة متحررة إلى حد كبير من القوالب المألوفة في كتب النحو التقليدي.

2- تحاشي الخلافات النحوية، وتعدد الآراء وطرق التحليل في سوق القواعد.

3- استخدام الجداول لأول مرة في تاريخ كتب النحو العربي لتلخيص القواعد وتوضيحها.

4- استخدام حروف كبيرة الحجم، لكتابة المصطلحات النحوية وعناوين الأبواب.

5- تذيل الكتاب بخاتمة في الخط والإملاء، وحسن القراءة، وهي أمور لم يكن لها مكان في الكتب التقليدية."[2] وبهذا كان الخطاب اللّغوي الطهطاوي ثورة على الخطاب اللّغوي التقليدي، خاصة ماله علاقة بالنحو.

لقد كان هدف الطهطاوي من الإصلاح والتجديد هدف تعليمي خالص، ساعياً بذلك إلى تيسير طرق التدريس، باستخدام كتب تعليمية سهلة اللّغة، بما ترجمه من كتب تناولت جل ميادين العلوم الحديثة. وإلى جانب عمل الطهطاوي فقد ظهر رائد آخر كان له الفضل الكبير في تعريف الثقافة العربية بالمنهج التاريخي المقارن، الذي قد اكتمل في الدراسات اللّغوية الغربية، وهذا الرائد هو جرجي زيدان، وعليه كيف ساهم جرجي زيدان في تقريب المنهج التاريخي المقارن إلى الثقافة العربية؟.

5- جرجي زيدان والمنهج التاريخي المقارن:

ظهر المنهج التاريخي المقارن في أوروبا في القرن التاسع عشر على يد نخبة من العلماء، الذين ثاروا على الدراسات التقليدية وتأثروا بالنظرية الداروينية التي تتحدث عن تاريخ الإحياء

---

[1]- حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية،1995، ص60.

[2]- عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي، مرجع سابق، ص60، بتصرف.

لم يعرف العرب قبل عصر النهضة المنهج التاريخي المقارن، فقد كان عملهم منصباً على دراسة لغتهم، وما صاحبها من بعثات علمية وغيرها، هي التي مهدت لدخول هذا المنهج إلى قلعة الدراسات اللّغوية العربية، فالتصورات اللّغوية الجديدة التي عرفتها أوروبا ابتدءاً من العقد الثاني من القرن التاسع عشر أو ما دُرج على تسميته بالفيلولوجيا المقارنة أو النحو المقارن دخل الثقافة العربية الحديثة مع كتابي زيدان (الفلسفة اللّغوي) الصادر سنة 1886و(تاريخ اللّغة العربية) الصادر سنة 1904، وقد تناول فيهما جملة من القضايا اللغوية، التي كانت تعالج في الدراسات اللّغوية الغربية وفق المنهج التاريخي المقارن، ومن جملة تلك القضايا نذكر:

– نشأة اللّغة حيث يقول "وجملة القول إنّ اللّغة مكتسبة."[1]

– تقسيم اللّغة إلى مرتقية وغير مرتقية.

– كما تعرض لتاريخ اللّغة العربية، والعوامل الخارجية التي أثرت فيها، حيث قسمها إلى ثمانية عصور بداية بالعصر الجاهلي ونهاية بعصر النهضة الحديثة، وما اقتضته حسبه "من تولد الألفاظ الجديدة، واقتباس الألفاظ الإفرنجية لتعبير عما حدث من المعاني الجديدة."[2]

– المقابلة بين الألفاظ وردها إلى أصولها، وهذا ما يدعيه مصطفى غلفان على حدّ قوله "بعلم مقابلة اللّغة."[3]

لقد كانت هذه أهم القضايا التي كانت مطروحة للدراسة وفق المنهج التاريخي المقارن في نهاية القرن التاسع عشر، والتي يظهر من خلالها تأثرهم باللّغويين الغربيين، وكذا بنظرية (أصل الأنواع) للعالم البيولوجي دارون.

5-1- سمات الخطاب اللّغوي عند جرجي زيدان:

لقد تناول جرجي زيدان المنهج التاريخي المقارن في خطاباته، التي أصبحت مرجعاً للباحثين العرب، وما يميزها هو غياب المصادر التي يكون زيدان قد اعتمدها في

---

[1]– جرجي زيدان،العربية كائن حي، دار الجليل، لبنان، ص26.

[2]– مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، مرجع سابق، ص40.

[3] – المرجع نفسه، ص52.

أبحاثه، إلاّ بعض الاستدلالات بآراء القدامى العرب فنجد مثلا عبارة "وقال الأستاذ أبو إسحاق الأسفراني." وعبارة (وقال السيوطي) وهذا دليل على صّلة فكر زيدان اللّغوي بالفكر اللّغوي العربي القديم، أما عن المنهج الذي اتبعه في دراسته فإننا "لا نجد تقديما للهدف المنهجي من وراء دراسته للّغة ارتقائياً ."[1] فهو لم يصرح تبنيه للمنهج المقارن ولا حتى تأثره بنظرية داروين.

بغض النظر عن الانتقادات التي وجهت إلى جرجي زيدان، إلاّ أنّه يعد من دعاة التجديد في دراسة اللّغة العربية، وإعادة إحيائها في عصر النهضة اللّغوية العربية، كما يعد أول من أدخل المنهج التاريخي المقرن إلى الثقافة العربية.

ليأتي بعد جرجي زيدان الأب ماري أتستاس الكرملي (1886-1947) الذي أكمل ما بدءه جرجي زيدان في بداية القرن العشرين، والذي أجرى عدة مقارنات بين اللّغة العربية واللّغات الأجنبية الأخرى.

6- مساهمة الأب ماري أتستاس الكرملي (1886-1947)اللّغوية: .

لقد سار الأب ماري أتستاس الكرملي على نهج جرجي زيدان، في تبنيه للمنهج التاريخي المقارن فـ"إذاً زيدان قد اهتم بالجانب النظري للمقارنة، فإنّ أبحاث الكرملي تعتمد في تحليلها على معطيات لّغوية من اللّغة الفصحى مقارنة بغيرنا من اللّغات، خاصة منها الآرية، على نحو ما نجد في بحثه في تناظر العربية، والإغريقية، واللاتينية."[2]

كما عمل الكرملي في أبحاثه على مقارنة الألفاظ اللاتينية، بهدف إيجاد علاقة بينهما وأن احدهما أصلاً للأخر .

ولقد تطرق مصطفى غلفان في كتابه "اللّسانيّات في الثقافة العربية الحديثة "بشكل دقيق لأبحاث الكرملي، مسجلا عدة نقاط هامة حول القيمة العلمية لتلك الأبحاث نجمله كالأتي:

1- "من الملاحظ أنّ مظاهر القرابة الممكنة بين اللّغات الثلاث غير واضحة عند الكرملي."[3]

---

[1]- مصطفى غلفان ، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، مرجع سابق، ص40.

[2]-المرجع نفسه، ص52.

[3]- المرجع نفسه، ص58.

2- "ما تجدر الإشارة إليه أن مقارنة الكرملي بين ألفاظ اللّغات تنتمي لفصيلتين مختلفتين،لا تقوم على أي سند تاريخي يدعمها."[1]

3- "إنّ رغبة الكرملي في إثبات الأصل العربي للألفاظ اليونانية اللاتينية، جعلت كثيرا من تخريجاته المقرنة موغلة في التكلف والتعسف، تخرج عن المألوف والمعروف لدى علماء الساريات والآريات على أي سواء."[2]

4- "وأهم ما تفتقر إليه أبحاث الكرملي في المقارنة، غياب الزاوية النظرية والمنهجية المتكاملة، الكفيلة بالوقوف على مظاهر القرابة بين اللغة العربية وغيرها من اللّغات الآرية إذا كان ذلك ممكن."[3]

بالرغم من الملاحظات السلبية التي سجلها مصطفى غلفان على اتجاه الكرملي الغوي،إلا انه كما يقول"مهد الطريق لجيل الجديد من الباحثين المقارنين العرب، فاتحاً هذا النوع من المقارنة القائمة على افتراض اللّغة العربية أصلاً، سواء بالنسبة لأخواتها السامية كما عند إبراهيم السمرائي."[4] وبهذا يكون الكرملي من بين الذين فتح الأبواب لدراسة اللّغة العربية ومقارنتها مع غيرها من اللّغات السامية.

وفي الأخير نخلص إلى أنّ عصر النهضة العربية كانت بداية انطلاق النشاط اللّسانيّ التمهيدي العربيّ، وذلك بما وفره من ظروف ساعد اللّغويّين على طرح فكرة التجديد على مستوى الدراسات اللّغوية، ذلك التجديد الذي لم يكن ممكناً إلاّ بالتطلع على الدراسات اللّغويّة الغربية الحديثة، ويمكننا أن نلخص سمات الخطابة اللغوية إبان عصر النهضة، والتي كانت بمثابة الأرض الخصبة التي استُنبتت فيها الخطابات اللّسانيّة التمهيديّة في النصف الثاني من القرن العشرين، في النقاط التالية:

- الانفتاح على الثقافة اللّغوية الغربية، والنهل منها.
- الدعوة إلى تجديد الفكر اللّغوي العربي.

---

[1]- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، مرجع سابق ، ص59.

[2]- المرجع نفسه، ص59.

[3]- المرجع نفسه، ص59.

[4]- المرجع نفسه ، ص60.

- تجديد قضايا النحو العربي، وإعادة إحياء التراث.
- إدخال المنهج التاريخي المقارن إلى الفكر اللّغوي العربي.
- التأثر بفكرة تطور اللّغات، وفكرة النشوء ولارتقاء.
- دراسة اللغة العربية وفق المنهج المقارن،وذلك بمقارنتها مع اللغات السامية الأخرى
- إعادة النظر إلى المعاجم العربية،من خلال نقدها وطرح ما يناسب اللغة العربية في عصر النهضة.

وغيرها من السمات التي تصب كلها في وعاء الدعوة إلى إحياء اللّغة العربية وإعادتها إلى الساحة العلمية والفكرية والحضارية، بعد أن كانت قد وصلت إلى أردى مستويات الركود والجمود، مما جعلها عاجزة عن مواكبة الحضارة الجديدة.

الملاحظة التي نخلص بها هنا، أنّ الكتب المعاصرة التي تناولت تاريخ الدرس اللّسانيّ العربي اغلبها تغفل عصر النهضة، وما خلفه دورها من خطابات لّغوية بالغة الأهمية باعتبارها اللّبنة الأولى في صرح الدرس اللّسانيّ العربي الحديث، أو على الأقل اعتبارها المحرك الأول لبداية عصر جديد في تاريخ الدرس اللّغوي العربي الحديث.

ثانياً– مرحلة الإستشراقية ودورها في مد جسور المعرفة اللّسانيّة :

لقد ساهم المستشرقون مساهمة فعالة في إنعاش البحث اللّغوي العربي ومد جسور المعرفة اللّسانيّة، وكما يقول حافظ إسماعيل علوي في كتابه "نشأة اللّسانيّات في الثقافة العربية المعاصرة ":أنّه"إذا كانت الثقافة العربية قد عرفت أول ملامح التحديث اللّغوي على يد بعض اللّغويين النهضويين من أمثال إبراهيم اليازجي، ورفاعة الطهطاوي ، وجرجي زيدان فإنّ أبواب التحديث لم تفتح على مصراعيها إلاّ بعد انتداب مجموعة من المستشرقين للتدريس في الجامعة المصرية (1907) من أمثال برجشترايس، وجودي، وليتمان...، وغيرهم فكانت الفرصة مواتية بشكل أكبر للإطلاع على مبادئ علم اللّغة في مفهومه الجديد[1]، فقد حمل هؤلاء المستشرقين إلى الشرق العربي موجة من الأفكار اللّغوية التي شكلت طاقة معرفية للبحث اللّغوي العربي، فعالجوا أفكار لّغوية جديدة لم يكن للعرب عهد بها من قبل .

[1]– حافظ إسماعيل علوي ، اللّسانيّات في الثّقافة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص32.

درس المستشرقون الثقافة الشرقية، فدققوا في آدابها ولغتها، وما ذاك إلاّ كون الدراسة الإستشراقية كانت تسعى إلى "التعمق في درس أحوال الشعوب الشرقية، ولغتها، وتاريخها وحضارتها."[1] محاولين في ذلك قلب موازين الفكر اللّغوي العربي، وإخراجه في قالب لّغوي جديد يتماشى وأهدافهم الإستشراقية، إذ يظهر لمتتبع مسار المستشرقين ومصادر تكونهم العلمي "أنّهم اطلعوا على المناهج و اللّغوية الجديدة التي سادت أوروبا خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ويتبيّن بوضوح أنّهم أخذوا بالمنهج التاريخي المقارن."[2] ويمكن رصد مساهمة المستشرقين في مدّ مجال البحث اللّغوي العربي في النقاط التالية:

1-"اهتم المستشرقون بدراسة اللّغة العربية –لهجاتها – متبعين بالتحليل الدقيق مظاهر التطور الحاصل في بنيتها الصوتية والصرفية، الاشتقاقية، والتركيبية ."[3]

2-الاهتمام بـ"اللّغة العربية الفصحى ولهجاتها القديمة والحديثة."[4]

3-"لم يقصروا نظرهم على العربية(الأدبية) التي يمثلها الشعر الجاهلي والقرآن ،...أهمية الأحاديث النبوية،...والحكم والأمثال."[5]

4- "من أبرز المجالات التي ساهم فيها المستشرقين ...مجال المعجم العربي."[6]

فقد كانت أولى جهودهم مرتكزة على دراسة اللّغة العربية والقرآن، ومع بداية القرن التاسع عشر توسعت جهودهم إلى معظم مجالات الأدب العربي، من شعر ونثر وأحاديث نبوية، وأمثال وحكم،...وغيرها من توابع الأدب العربي، كما أنصبت اهتماماتهم على دراسة اللهجات، ومعاني المفردات، واستدراك ما أغفلته معاجمنا القديمة، كما ركزوا اهتمامهم على

---

[1]- أحمد سمابلوفتش، فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص24.

[2]- مصطفى غلفان، اللّسانيّات في الثّقافة العربية الحديثة، مرجع سابق، ص92.

[3]- المرجع نفسه، ص93.

[4]- المرجع نفسه، ص94.

[5]- المرجع نفسه، ص96.

[6]- المرجع نفسه، ص97.

فهم التراكيب اللّغوية، وبشكل خاص ما تعلق منها بالنص لقرآني باعتبار "أنّ الجهود الأولى نشأة متداخلة مع الدراسات القرآنية ."[1]

وما إنّ فتئ الزمن حتى أخذ الانتعاش يشق مساره نحو حركة النحو والمعجم العربيين وأخذ الفكر التطوري يبسط أفرشته العلمية على الساحة الثقافية العربية، مع ما يوازي النظرة اللّغوية الحديثة، هذا التطور الذي "يبقى مدين للّغة العربية."[2]

نخلص في الأخير إلى أنّ التيار الإستشراقي كان له تأثير جلي وواضح على مناهج الدرس اللّغوي العربي فساهم في انتقال اللّسانيّات من الثقافة الغربية إلى الثقافة العربية، فمنح الفكر العربي أنفاس التحديث والتجديد، فكان أحد الظروف والملابسات التي مهدت لنشأة اللّسانيّات العربية، أو ما يسمى بـ (الدرس اللّسانيّ العربي)، وهذا ما سنعالجه في المبحث الثاني من هذا البحث .

[1]– محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب نهاية القرن الثالث، ط1، دار مكتبة الحياة، بيروت،1979،ص78.

[2]– محمد الزهير السنهوري وآخرون، تراث الإسلامي، ط1، جمعية إحياء التراث الإسلامي،الكويت،1988،ج2، ص08،09.

المبحث الثاني:نشأة اللّسانيّات العربية .

تمهيد:

إنّ معادلة توازن البحث اللّسانيّ في الثقافة العربية مرتبط بالقرن العشرين بل بالنصف الثاني منه، وهي بهذا الارتباط سهلت التقييم لأنّها مختصرة في أقل من قرن وإن كانت من التنوع والتعدد، بحيث تضحي صعبة التقييم إلاّ أنّه حينما عرضت اللّسانيّات بعد نصف القرن على المشتغلين بالعلوم العربية خاصة والمثقفين في العالم العربي عامة، لم يخرجوا من دائرة الجدل في فهم اللّسانيّات بل في طرحها لأنّ جهود الباحثين في تقديم اللّسانيّات للعالم العربي ضاعت في منعطفات خطيرة، وهذا ما يؤكد أنّ تبني الثقافة العربية للّسانيّات والتعامل معها باعتبارها منهجا دقيقاً ينادي بالعلمية في دراسة اللّغة لم يكن دفعة واحدة ولم يقتصر على اللّغويين الغرب بل شملت الدائرة العديد من المهتمين بالأدب والنقد وهذا ما دفعها إلى بعث دعائم الفكر اللّسانيّ وتوطيد مناهجه ومفاهيمه في الثقافة العربية .

1- اتجاه اللّسانيّات في الثقافة العربية:

بعد الإصلاحات التي عرفها الفكر اللّغوي العربي إبان عصر النهضة نتيجة الانفتاح روادها على الثقافة وإطلاعهم على إفرازات الفكر الغربي، من النظريات لّغوية وغير لّغوية التي كانت سائدة عند الغرب أنداك فلم يكن هناك بد من بداية واضحة لنقل اللّسانيّات الغربية إلى الثقافة العربية، هذه الأخيرة التي أخذت تشق طريقها إلى أن وصلت إلى الساحة اللّغوية العربية فقد "كان تحديد بدايات انتقال الفكر الغربي إلى ميدان التفكير اللّغوي العربي ببداية الاتصال الفعلي بالحضارة الغربية في العصر الحديث"[1] فكانت بذلك تشق أولى خطواتها إلى رحاب الثقافة العربية "فقد شكل القرن التاسع عشر منعطفا حاسما في تكوين الفكر العربي الحديث، إذ وجد هذا الأخير نفسه أمام ضرورة القيام بمشاريع إصلاحية كبرى على المستويات جميعا وضرورة إعادة النظر في أوضاع هذا الفكر لمواكبة التطور الحاصل في الغرب الذي صدم العرب للمرة الأولى مع حادث الاستعماري ."[2] إذ أنّ المنحى الذي اتخذته اللّسانيّات في مسارها من الثقافة الغربية إلى الثقافة العربية "لم يكن على نفس

---

[1]- فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي، مرجع سابق، ص14.

[2]- المرجع نفسه، ص 14.

الشاكلة التي عرفتها بقية العلوم. "[1] وهذا يرجع إلى اللّغة التي اتخذت اللّسانيّات موضعا لها إذ "أنّ دراسة اللّغة ليس بالأمر الجديد عند العرب ومع ذلك فإنّ الجدّة التي أضفتها اللّسانيّات متمركزة في المناهج التي اقترحتها، ثم إنّ اقتراح البديل أمر ليس من السهل تقبله على مستوى الدرس اللّغوي العربي."[2] فإدراك العرب لتراثهم ووعيهم به هو الأمر الذي أدخل اللّسانيّات في دائرة الجدل والصراع "بين قطبين متنافرين، سلفي يحاول أن يعيد إنتاج الموروث الحضاري العربي الإسلامي بصيغته القديمة نفسها أو بصيغة معدلة تعديلا جزئيا و حداثي يحاول أن يبيّن المسار الحضاري الغربي في كل تمفصلاته ."[3]هذا وإنّ الدرس اللّسانيّ في الثقافة العربية لم ينل تلك الأهمية التي نالها في الثقافة العربية فقد"سجل أكثر من باحث لّسانيّ عربي البداية المتعثرة للّسانيّات داخل الأوساط الجامعية العربية وخارجها ."[4] فقد واجهت اللّسانيّات في الثقافة العربية من رفض واللامبالاة لدى المثقفين والمتعلمين من أبناء العربية هذا ما جعل من اللّسانيّات تعيش في حالة من الانكماش والتقوقع، فمازالت ولا تزال اللّسانيّات في الواقع العربي " ذلك المجهول الذي يثير فينا ريبا وشكاً وتوجساً وخوفاً، أكثر مما يثير فينا نزعة ولو فضولية لمعرفة موقفنا من واقع الثقافة والعلم والمعرفة في العالم."[5]وهذا ما دفع أنيس فريحه في كتابه نحو عربية ميسرة "ما يؤسف له أن يظل هذا العلم الحديث مجهولاً عند عامة المتأدبين وموضع استهزاء عند عامة الناس الذين ينظرون إلى اللّغة وعلمها، على أنّها من الدراسات الفارغة التي لا علاقة لها بواقع الناس، أو أنّها من جملة هذه الكماليات التي تلتهي بها العقول الخاملة ."[6] فانصراف العقول وعدم تفرغها لدراسة اللّسانيّات باعتبارها ترفاً علمياً أمر مسّ المتخصصين وغير المتخصصين من أبناء الأمة العربية، إذ أنّ هذا النوع من هذه الدراسة في الثقافة العربية لا تزال غريبة على الجمهور المتخصصين في المسائل اللّغوية المنقطعين لها المنصرفين

---

[1]– هبة خياري، خصائص الخطاب اللساني"أعمال ميشال زكريا نموذجا"، ط1، دار الوسام العربي للنشر والتوزيع الجزائر،1432–2011، ص33.

[2]–المرجع نفسه، ص33، 34.

[3]– فاطمة الهاشمي بكوش،المرجع نفسه، ص14.

[4]– مصطفى غلفان،اللّسانيّات في الثقافة العربية الحديثة، مرجع سابق، ص144.

[5]– منذر عياشي، قضايا اللسانية وحضارية، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1991، ص11.

[6]– أنيس فريحه، نحو العربية الميسرة، ط1، دار الثقافة، بيروت،1955 ، ص58.

إليها."[1] باعتبار أنّ اللّسانيّات أو"علم اللّغة أو بعض فروعه كعلم الأصوات اللّغوية ترفاً علمياً لم يؤن الأوان بعد للانغماس فيه أو التطلع إليه."[2]إذ أنّه من الطبيعي أنّ يقابل الجديد بالرفض ف" هذا هو حال كل معرفة جديدة تحاول أنّ تعلن استقلالها عن نظيرتها التقليدية."[3] إذ أنّ الثقافة العربية كانت "في حاجة ماسة إلى وقت غير قصير لإدراك أهمية هذه المعرفة الجديدة وجدواها."[4]وما إن فتئ الزمن حتى أخذ "الاهتمام باللّسانيّات ومناهجها ونظرياتها المختلفة ."[5] يشغل حيزاً واسعاً في الثقافة العربية ف"دخلت مرحلة جديدة تغيرت معها كثير من الأشياء لاسيما منذ بداية السبعينات "[6]من القرن العشرين، وبذلك قد "عرفت الثقافة العربية صحوة لّغوية جديدة ظهرت في الأقطار أخرى خارج ما كان يعتبر مركز الثقافة العربية أي الشرق العربي عامّة ومصر بصفة خاصة. ومنذ منتصف السبعينيات أصبحت دول المغرب العربي لا سيما المغرب وتونس تحمل مشعل ريادة اللّسانيّة في الثقافة العربية المعاصرة."[7] فالواقع الراهن الذي تعيشه اللّسانيّات في الثقافة العربية وما شهده من تطور منهجي ونظري لم يكن دفعة واحدة بل واجه ظروف كانت مؤشر نجاحه، ويمكن رصد هذه الظروف التي هيأت له هذا النجاح في النقاط التالية:

" أ. إرسال البعثات العربية إلى الجامعات الغربية.

ب. إنشاء الكراسي خاصة بعلم اللّغة، كما هو الشأن في الجامعة المصرية.

ج. ظهور ترجمة عربية لبعض المقالات اللّسانيّة .

د. تنظيم ندوات ولقاءات علمية محلية وجمهورية دولية في مجال اللّسانيّات.

هـ. إنشاء تخصصات قائمة الذات في اللّسانيّات العامّة."[8]

---

[1]– محمود السعران، علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1962، ص21.

[2]– المرجع نفسه، ص18.

[3]– مصطفى غلفان ، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، مرجع سابق، ص145.

[4]– المرجع نفسه، ص144.

[5]–المرجع نفسه ، ص144.

[6]–الرجع نفسه، ص144.

[7]– المرجع نفسه، ص145.

[8]– المرجع نفسه، ص145.

وبهذا يكون الدرس اللّسانيّ العربي قد واجه ظروف وملابسات مواتية هيأت له ما وصل إليه من انتعاش وحيوية.

2- تلقي اللّسانيّات في الثقافة العربية:

كأي علم جديد يعاني الكثير من العوائق أثناء دخوله إلى ثقافة غريبة عنه، هذه العوائق التي تحول دون قبوله عند متلقي تلك الثقافة.

عانت اللّسانيّات باعتبارها علماً غربياً غريباً من عدة عوائق جعلت المتلقي العربي ينظر إليها بعين الشك والريبة، والرفض في أحيان كثيرة وذلك كان الهدف الأول الذي سعى الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي إلى تحقيقه هو إلباسها ثوباً عربياً وربطها بالدرس اللّغوي العربي، وذلك من خلال عرض مبادئها النظرية وأسُسها المنهجية عرضاً مبسطاً ليسهل على المتلقي استيعابها وممارستها في الواقع اللّغوي.

أول ما طرقت اللّسانيّات أبواب الثقافة العربية لم يتعرف عليها ويتقبلها سوى نخبة قليلة من المثقفين والمختصين بالدراسات اللّغوية مما كان لهم حظ السفر إلى أوروبا وأمريكا أمثال إبراهيم أنيس، وتمام حسان، وعبد الرحمن حاج صالح وغيرهم، ثم بدأت شيئا فشيئا تدخل الجامعة العربية في منتصف القرن العشرين، في حين كانت اللّسانيّات في أوروبا وأمريكا قد غزت كل ميادين العلوم الإنسانية تماما كما تنبأ لذلك الأنثروبولوجي الفرنسي كلود ليفي شتراوس، يقول حافظ إسماعيل علوي :"لقد صدق حدس الأنثروبولوجي الفرنسي كلود ليفي ستراوس (Claude live Strauss)عندما أشار إلى أنّ اللّسانيّات بحكم توجهها العلمي ستصبح جسرا تعيره جميع العلوم الإنسانية (علم الاجتماع، وتاريخ وفلسفة وأدب ...) في محاولة لتحصين مواقعها ونتائجها وهذا ما حصل بالفعل في الغرب."[1] فاللّسانيّات في الجامعات الغربية أصبحت تدرس كأي علم تجريبي كالرياضيات أو الفيزياء ولا يدور حول مشروعيتها أي نقاش .

[1]- حافظ إسماعيل علوي،اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، مرجع سابق ، ص55.

3- عوائق تلقي اللّسانيّات في الثقافة العربية:

شهدت عملية تلقي اللسّانيّات في الثقافة العربية عدة عوائق أدت إلى تعثر الدرس اللّسانيّ العربي، وحالت دون تقدمه ومواكبته لنظيره في الغرب، ونستطيع أن نقول أنّ هذه العوائق هي نتاج الظروف التاريخية والسياسية والحضارية التي عاشها العالم العربي قبل نهضته والتي دفعته إلى رفض أي شكل من أشكال الفكر والثقافة تأتيه من الغرب، حتى وإن قبلها فموقفه منها موقف الشاك المتردد .

ونحن في هذا البحث سنتطرق إلى أهم العوائق وأبرزها وسنقسمها إلى عوائق ذاتية وعوائق موضوعية كما فعل حافظ إسماعيل علوي في كتابه"اللّسانيّات في الثقافة العربية "حيث تعرض لعملية تلقي اللّسانيّات في الثقافة العربية بشيء من التفصيل وله في ذلك بحث قيم أما العوائق الذاتية فهي كالآتي :

1/-العوائق الذاتية:

أ- صورة الغرب في الثقافة العربية:

ويقصد هنّا تلك الدلالات التي يحملها المتلقي العربي عن الغرب والتي هي في مجملها دلالات سلبية تشكلت نتيجة الصراع الفكري والحضاري بين الشرق والغرب، والتي كانت بدورها سبباً في تشكل ردود أفعال عند ذلك المتلقي كانت سبباً في رفض كثير من الأفكار الحضارية الحديثة ومن أمثلة صورة الغرب في المتخيل العربي وما تجده في كتاب (العالم الثالث الهوية والحضارة) لمؤلفه سلمان البدوي حيث يقول:"فرض الفكر الغربي منذ عصر النهضة واقعا جديدا على الساحة الثقافية في العالم، فمنذ ذلك الحين والمبادرة التاريخية مبادرة غربية، والفكر فكر غربي، وطبعت الثقافة الغربية بسماتها ثقافات الأمم والشعوب الأخرى."[1] هكذا ينظر المتلقي العربي إلى الغرب على أنّه المسيطر والمهيمن يفرض ثقافته ويلغي ثقافة الشعوب الأخرى، وهذا ما جعله يشك في كل ما يأتيه من ذلك الغرب المهيمن خاصة على مستوى الفكر والثقافة، ونورد هنا كذلك كلام عبد السلام المسدي حول صورة الغرب في ذهن المتلقي العربي المثقف حيث يقول:"إنّنا إذا قلنا أنّ الغرب . بمفهومه الثقافي الموروث ثم بمفهوم المتلبس بصيغ النظام العالمي الجديد – يترصد باللّغة العربية فلسنا

[1]- سلمان البدوي، العالم الثالث الهوية والحضارة،ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان،2011، ص33.

نزايد على حماس الضمير الواعي، ولسنا نلتجئ إلى العزف على أوتار النعرة الحضارية وما نحن متوسلون البتة برواسب الخطاب الإيديولوجي، أو بقايا الخطاب النضالي الذي امتدت في أنفاسه نفايات عهد الاستعمار، ولكنّنا نقرر حقيقة يستشعرها التاريخ وتشهد بها الوقائع."[1]وينظر عبد السلام المسدي إلى الغرب على أنّه وحش يترصد بفريسته (اللّغة العربية)، ويبرز هذه النظرة بأنّها حقيقية وواقع يتمثل في الصراع الفكري الحضاري بين الثقافة الغربية والثقافة العربية والذي غالباً إن لم نقل دائما ترجح فيه كفة الثقافة الغربية لأنّها تملك كل مقومات الحضارة والفكر.

ونظيف إلى ما سبق ذكره أنّ علاقة الغرب بغيره من الشعوب الأخرى قائمة على التبادل الاقتصادي والسياسي والفكري والثقافي هذا الظاهر لكن في الباطن الأمر، ينظر الغرب لنفسه على أنّه الفاعل وغيره متقبل كما يقول سلمان البدوي:"وعلى غرار ذلك اعتبر الغرب نفسه "فاعلاً"والأمم أخرى"قابلاً" واستند الغرب في إثبات فعاليته إلى قدرته على تغير غيره."[2] نفهم من هذا الكلام أنّ الفاعلية التي نسبها الغرب لنفسه راجعة إلى قدرته على تغيير غيره من الشعوب التي ينظر إليها بعين التخلف والاحتقار، ولكن الأمر يختلف عندما تكون تلك الشعوب عربية والتي كانت فيما مضى هي الفاعلة والغرب هو المتقبل، وعلى هذا الأساس وقفت ثقافة المتلقي العربي وجها لوجه مع الثقافة الغربية مما أدى إلى الحد من تدفق الثانية على الأولى ومقاومة الأولى للثانية .

ب- اللّسانيّات علما غربيا:

سبق أن ذكرنا أنّ اللّسانيّات علم غربي خرج من رحم الثقافة الغربية لذلك يرى المتلقي العربي هذا العلم غريباً عن الثقافة العربية، ولا يمكن بأيّ شكل من الأشكال تطبيقه على اللّغة العربية خاصة في وجود كل ذلك التراث الضخم الذي مازال يسيطر إلى حد بعيد على ساحة البحث اللّغوي العربي، وفي هذا الصدّد يقول رشيد العبيدي:"بحث أوجدته ظروف اللّغات الأوروبية التي تختلف في انتماءاتها وتكوينها وبيئتها وشعوبها المتكلمة بها وتأريخها عن العربية وظروفها اختلافاً كبيراً، يجعلنا في موقف رافض لكل ما يراد من الباحثين

[1]- عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللغوي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان،2011، ص24.

[2]- سلمان البدوي، المرجع نفسه، ص14.

المعاصرين العرب أن يسلكوه، أو يتعاملوا به مع العربية."[1]،يقصد العبيدي. بلفظة"بحث"اللّسانيّات الغربية.

إنّ رفض المتلقي للّسانيّات ناتج عن الهوية الغربية التي تحملها اللّسانيّات خاصة وأنّ نشأتها وظهورها تزامن مع حركة الاستعمار الغربي للدولة العربية وكذا نشاط الحركة الإستشراقية التي اهتمت كثيرا باللّغة والآداب العربية، لذلك نظر المتلقي العربي إلى اللّسانيّات على أنّها مخطط من المخططات الاستعمارية الإستشراقية التي كانت تسعى إلى السيطرة على العالم العربي وتدمير هويته القومية والدينية، يقول عبد الغفار حامد هلال:"في نشأة الدراسات اللّغوية في (أوروبا) ما يدل على أنّ للاستعمار وحملات التبشير المسيحية دوراً رئيسياً ساعد على ظهورها وانتشارها، وتطورها، للوصول إلى شعوب العالم التي يقصدونها ."[2] وما زاد من غربة اللّسانيّات في الثقافة العربية وشك المتلقي العربي في سلامة نيتها ومصداقيتها هو عنايتها باللّهجات حيث تعتبر دراسة اللّهجات أحد فروع اللّسانيّات كما يذكر إبراهيم أنيس في كتابه " في اللّهجات العربية"، فدراسة اللّهجات دراسة علمية غير واردة في الثقافة العربية قبل ظهور اللّسانيّات، بل إنّ المتلقي العربي ينظر إلى اللّهجات على أنّها خطرة تهدد اللّغة العربية، يقول عبد السلام المسدي:"لا مهرب لنا من الإقرار موضوعيا بأنّ بعضهم قد عمل على ازدهار علم اللّهجات العربية بباعث إما سياسي غايته استعمارية، وإماّ عقائدي يهدف إلى تقليص البعد الديني والوزن الروحي للعربية عند أهلها."[3] يقصد المسدي بكلمة بعضهم المستشرقين الذين كانوا يهتمون بدراسة اللّغة العربية ولهجاتها، وهو يقرن دراسة المستشرقين للّهجات العربية بالأهداف الاستعمارية، وهذا ليس رأي المسدي وحده، بل هناك من المثقفين العرب والمختصين بالبحث اللّغوي من يؤمن بالفكرة نفسها، ومنهم على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر منذر عياش الذي يقول في كتابه قضايا لّسانيّة وحضارية: "لقد وجد البحث اللّغوي العربي نفسه تبعا لعدد من الممارسات الإستشراقية التي أرادت فرض سيطرتها عليه، والانحراف به عن النهج العلمي بغية التشكيك في الجدوى التاريخية للإنتاج المعرفي في الحضارة العربية الإسلامية، كما

---

[1]– رشيد عبد الرحمن العبيدي، الألسنية المعاصرة والعربية، الذخائر، العدد1، شتاء1420هـ/2000م، ص31.

[2]– عبد الغفار حامد هلال ، علم اللغة بين القديم والحديث ، ط2، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، 1986، التقديم.

[3]– عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار الوطنية للنشر،الجزائر– تونس،1997، ص15.

وجد نفسه أيضا تبعا لعدد كبير من النظريات والمناهج والمدارس الغربية."[1] فاللّسانيّات والاستشراف والاستعمار في نظر المتلقي العربي دوال لمدلول واحد وهو هيمنة العنصر العربي أي الاستعمار.

ج-حداثة اللّسانيّات:

إنّ الحداثة في نظر القارئ العربي هي رفض القديم والتمسك بالحديث، ولما كانت اللّسانيّات هي إحدى صور الحداثة في المجال اللّغوي، فقد كانت بؤرة الصراع القائم بين التراث والحداثة، فخوف المتلقي العربي على تراثه اللّغوي القديم أنّ يفقد مكانته العلمية والمعرفية في زمن لا يؤمن إلاّ بالجديد المتجدد دفعه إلى تصدي اللّسانيّات والتشكيك في مكانتها المعرفية، ومن بين الذين خافوا على تراثهم اللّغوي من الاندثار والتشتت بفعل اللّسانيّات رشيد العبيدي الذي صرح في بحثه (الألسنية المعاصرة والعربية): "ولعلني لا أبالغ إذا قلت:إنّ ثمة غلوا محموما ينهد به نفر من المغرمين بالبحث الألسني الأوروبي في ذاك القرن، يهدف إلى الانصراف عن البحث العربي الأصيل إلى الألسنية الحديثة، ولاسيما المعنيين بالعربية، ممن تعلموا شيئا عند الغربيين، أو اطلعوا على ما جاءت به الترجمات من كتب البحث اللّساني في فرنسا وغيرها من أقطار أوروبا بعد دي سوسير (1913م) وهو بحث مقحم على العربية، بعيداً عن أنفاسها وخصائصها وإدخال أهلها إلى ميدان غير مناسب لها، ولا متلائم مع طبيعتها، في الوقت الذي كانت الدراسات العربية الأصيلة قد آتت أكلها."[2] فالبحث اللّسانيّ الأوروبي في رأي العبيدي هو زحف على مبادئ ومقومات الدراسات العربية الأصيلة، وهو نفس الرأي الذي نجده عند تمام حسان والذي صرح به في خطابه (اللّغة العربية معناها ومبناها)في قوله:"حين كنت أتولى تدريس علم الأصوات اللّغوية لطلبة السنة الثانية بكلية دار العوم بالقاهرة – فيما بين عامي1953و1959- كان الاتجاه العام بين أساتذة الكلية في ذلك الحين هو إلى التشكيك في قيمة الدراسات اللّغوية الحديثة

[1]- منذر عياشي، قضايا لسانية وحضارية، مرجع سابق، ص15.

[2]- رشيد عبد الرحمان العبيدي، الألسنية المعاصرة والعربية، مرجع سابق، ص22.

ولاسيما عند تطبيق منهجها وأفكارها على اللّغة الفصحى."[1]و اصطدام تمام حسان بأساتذة قسم اللّغة العربية في ذلك الحين ناتجاً عن رؤيتهم له كأحد رواد التجديد والرافضين للتراث.

إنّ دخول اللّسانيّات في ثوبها الغربي الحديث ادخل الدارسين العرب في دائرة النزاع والصراع، فمنهم من دعا إلى التمسك بالتراث القديم ورفض الحداثة، ومنهم من دعا إلى التمسك بالحداثة ورفض التراث، وبين هذا وذلك هناك من نادى بالخروج من دائرة العصبية لأنّها ضاره بالتقدم العلمي، ومن هؤلاء نجد عبده الراجحي والذي يقول "إنّ الدعوة إلى رفض المناهج اللّغوية الحديثة دعوة غير صحيحة، بل هي دعوة غير إنسانية، ولانشك لحظة في أنّها ضارة بالعربية نفسها ومن الضروري أنّ نفيد مما يطوره الناس، وأنّ نتشارك نحو في هذا التطوير."[2] فعبده الراجي وقف موقف المنصفين لأخذ بالجديد والتمسك بالتراث.

إنّ فكرة رفض كل ماهو جديد حداثي بدعوى اكتمال حضارتنا فكرة باطلة، لم يعهدها المتلقي العربي الأول الذي لم يرفض فكراً أو علماً فيه منفعة، والذي كان عنصراً فعالاً في نشاط حركية الفكر والثقافة العربية آنذاك، فلاطلاع على ثقافة الغير سبيل للوصول إلى فكره.

د- مكانة اللغة العربية وقداستها:

إنّ نظرة المتلقي العربي إلى لّغته تعتريها الهيبة والقداسة، وما ذاك إلاّ كونها لّغة القرآن الكريم، والمساس بها إنّما هو مساس به وبقدسيته، ومجمل الدراسات لهذه اللّغة هي دراسات لم تخرج عن إطار دراسة الكتاب المقدس.

وفي هذا الصدد يقول دانيال ريخ:"أولى هذه الأساطير وأقواها تلك التي لها علاقة باللّغة العربية، فلم تثر ظروف تطورها في الماضي ولا ظروف وجودها في الحاضر، دراسات متحررة بصورة كافية من الضغوطات لإيديولوجية لتكونها مضيئة وواضحة."[3] فأسطورة قداسة اللّغة العربية أنّها لّغة أهل الجنة، وأنّها اللّغة الخالدة التي لا تموت، هذا ما جعل

---

[1]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، 1994، ص07.

[2]-عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت،1986 ، ص160.

[3]- دانيال رينغ، رجل الإستشراق، ترجمة إبراهيم صحراوي، مسار اللغة العربية في فرنسا، دار التنوير لنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص36.

الدراسات الخاصة بنشأتها وتطورها مفعمة بفكرة تلك القداسة، وبالتالي لم تكن في نظره دراسات علمية بالمعنى المطلوب، فسبب تعثر البحث اللّغوي العربي يعود المتلقي ذاته لأي دراسة لّغوية موضوعية قد تنزع القداسة عن لّغته، ف"يبدوا أنّ أحد أسباب هذا الإنكار كامنة في سرّ علاقة العربي بلّغته، إذ تقدم لنا هذه اللّغة في الواقع على أنّها لّغة مقدسة، قداستها على أي حال الظروف التي جعلت منها لّغة القرآن، وهي بذلك مرسخة للخلود بشكل لا يطال، خلود منحها إياه ارتقاؤها القرآني، وإذا لم تشكل هذه الميزة الخاصة وبهذا الشكل الحاد عائقا لتفكير كبار لّغويين الأوائل، فإنّها شلت البحث اللّغوي لفترة طويلة بعد ذلك."[1] فالبحث اللّغوي العربي في نظر دانيال أصيب بالشلل بسبب فكرة القداسة التي تحيط باللّغة العربية فإذا كان القارئ العربي لا يسمح لنفسه بدراسة اللّغة العربية فكيف يسمح لغيره أنّ يقترب منها ويمس قداستها، ومن العرب الأوائل الذين شهدوا قوة الحضارة الإسلامية في قديسية اللّغة، الإمام الشافعي والذي يقول:"على كل مسلم على أنّ يتعلم لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أنّ لاإله إلاّ الله، وأنّ محمد رسول الله."[2]وكان شهادة لاإله إلاّ الله لا يجوز نطقها إلا باللّغة العربية.

أما من بين المحدثين الذين عاصروا اللّسانيّات واطلعوا عليها نجد عبد العلي الودغيري والذي ربط قداسية اللّغة العربية بالقرآن الكريم في قوله: "من يؤمن بأنّ القرآن حقيقة خالدة مجبر على أنّ لا يؤمن بأنّ لّغة القرآن –هي اللّغة العربية الفصحى– هي أيضا حقيقة خالدة لأنّ خلودها مرتبط بخلوده وبقائها ببقائه."[3] فالقرآن الكريم وقداسته هو من منح اللّغة العربية قداستها وبقائها، فلولا القرآن الكريم لما وصلت اللّغة العربية إلى ما وصلت إليه من خلود.

هـ– مكانة التراث النحوي:

يحظى التراث النحوي العربي بمكانة مقدسة في الثقافة العربية، وهي قداسة استمدها من قداسة اللّغة العربية من جهة، ومن ظروف نشأتها من جهة أخرى ف"لقد كانت نشأة النحو العربي لأجل هذا الغرض الديني الذي يروم الحافظ على الكتاب المنزل، المعجزة الخالدة

[1]– دانيال رينغ، رجل الإستشراق، المرجع نفسه، ص36.

[2]– محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تحقيق احمد شاكر، ص74، الهامش.

[3]– عبد العلي الودغيري، اللّغة والدين والهوية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، ص20.

وهذا على وجه التحديد ما جعل من الدراسات النحوية واللّغوية عموما أثقل مظاهر عقلاني عربي."[1] فجذور التراث النحوي العربي مرتبطة بالغرض الديني الذي منحه الرقي والازدهار.

إذ يرى المتلقي العربي في تراثه النحوي الغني عن أي دراسة أخرى، فمن الطبيعي أنّه ومن سبقه سيطرح سؤالاً طبيعياً ومنطقياً، ماذا سأفعل بكل هذا التراث النحوي الضخم الذي صمد لعصور عديدة، بل ووصل إلى أعلى مستويات الرقي العملي والحضاري، والذي كان له الفضل على اللّسانيّات الغربية التي هو مطالب بفهمها واستيعابها وتطبيقها على لّغته.

هذا ما جعل من التراث النحوي العربي أحد أهم العوائق التي عطلت تلقي اللّسانيّات في الثقافة العربية، والسبب راجع إلى مكانة ذلك التراث وارتباطه بالقرآن الكريم هذا من جهة ومن جهة أخرى الاتهام الذي وجه إلى النحو العربي، أنّه ليس نتاج العقلية العربية وأنّه ذوي أصول يونانية، هذا الاتهام الذي جعل من القارئ العربي حماية تراثه النحوي وتحصينه من الاتهامات والشبهات التي تمس أصله وهويته التي تنبع من رحم الثقافة العربية، رداً على من أطلق ذلك الاتهام من المستشرقين الغربيين ومن سار على نهجهم من الباحثين العرب الذين اطلعوا على اللّسانيّات الغربية، وبهذا يقول الحاج صالح :"وما زاد الطين بله أنّ الباحث قد يكون تأثر بما يقوله بعض المستشرقين فلا يرى في سيبويه إلاّ الرجل الفارسي الذي تأثر بمنطق اليونان الذي كان يدرس جنديسابور وينكر أنّ يكون أبو الأسود وأتباعه ممن ساهم في وضع النحو."[2] فقد تصدى عبد الرحمن الحاج صالح للرد على الذين نسبوا النحو العربي إلى غير أصله وأوضح أنّ القصد من هذا الاتهام هو البرهنة على عجز العقل العربي واعتماده على غيره.

ونخلص في الأخير أنّ ظروف نشأة النحو العربي والشبهة التي أطلقت عليه حول أصله ونسبه كان عاملين أساسيين في إشكالية تلقي اللّسانيّات في الثقافة العربية، هذا من جهة ومن جهة أخرى نظرة الاعتزاز والاستعلاء التي ينظر بها المتلقي العربي إلى هذا الموروث

[1] – حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص77.

[2] – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم لنشر،الجزائر، 2007،ج1، 44.

العلمي والتمسك به طارحاً سؤالاً على نفسه: كيف لدراسة حديثة تحل محل تراث ضخم استغرق اكتماله كل تلك العصور وقد اثبت جدارته على الحفاظ على اللّغة العربية؟.

لقد كانت هذه أهم العوائق التي قلنا أنها عوائق ذاتية التي كانت إشكالا واجهته اللسانيات في الثقافة العربية ،ويلي العوائق الذاتية العوائق الموضوعية والتي كانت بدورها إشكالا أخر في عرقلت مسيرة هذا العلم الحديث فما هي هذه العوائق؟.

2/-العوائق الموضوعية:

وهي العوائق التي كانت مباشرة في تلقي اللّسانيّات في الثقافة العربية ومنه نجد:

أ. إشكالية المصطلح اللّسانيّ العربي:

لا ينكر أحد الفوضى التي يعرفها المصطلح اللّسانيّ العربي اليوم وقد تحدثنا في موضع سابق من هذا البحث عن إشكالية الترجمة وتأثيرها على تحديث المصطلح اللّسانيّ، أماّ ما يهمنا في هذا الموضع وهو الدور الذي لعبته فوضى المصطلح في إعراض المتلقي العربي عن اللّسانيّات الحديثة، وفي هذا الصدد يقول علي الصينع:"لاشك أنّ اختلاف المصطلحات...يؤدي إلى اختلاف المدلولات أحيانا وبالتالي إلى صعوبة تحديد مفاهيم مشتركة بين المرسل والمستقبل في عملية تبادل المعلومات على مختلف الوسائط ولمختلف الأغراض البحثية والتعليمية وتجد من نتيجة ذلك إحجام المتخصصين أو تخوفهم من خوض غمار الترجمة."[1] أما عبد القاهر الفاسي الفهري فيقول :"ما يتسم به وضع المصطلح هو طابعه العفوي وهي عفوية لا تقترن بمبادئ منهجية دقيقة، ولا بالاكتراث بالأبعاد النظرية للمشكل المصطلحي، وقد قادت هذه العفوية إلى كثير من النتائج السلبية."[2] فاختلاف المدلولات وغياب المفاهيم المشتركة أدى إلى إعراض المتلقي العربي ونفوره من اللّسانيّات والتشكيك فيها .

ومن أمثلة المصطلح اللّسانيّ الغربي الذي يقابله عدة مصطلحات لّسانيّة عربية نجد (مصطلح الفونولوجية) الذي يقابله في العربية(علم وظائف الأصوات)، (علم الأصوات)،

[1]- علي الصينع، مفارقات المصطلح في علم المكتبات والمعلومات نقلاً عن محمد حلمي خليل، التقبيس المصطلحي في البلاد العربية، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس،1996، ص60، بتصرف.

[2]- عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيآت واللّغة العربية، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1986، ص394.

(علم الأصوات التشكيلية)، (علم النظّم الصوتية)، وهذا ما يؤكد عدم وجود أرضية معرفية مشتركة بين المصطلح الأجنبي والمصطلح العربي.

ب.التطور المعرفي للّسانيّات:

لقد بلغت اللّسانيّات منذ نشأتها حداً متقدماً من التطور المعرفي حتى أصبحت بعض النظريات اللّسانيّة بدون فاعلية أمّا نظريات أخرى فأكثر تقدماً وتطوراً وذلك راجع إلى ظهور آراء ومفاهيم جديدة كانت سبباً في تراجع آراء ومفاهيم أخرى، ولكن في خضم هذا التطور السريع للّسانيّات الغربية مازال النشاط اللّسانيّ العربي عاجز عن مواكبتها والسير جنباً لجنب معها وفي هذا يقول حافظ إسماعيل علوي:"تعبر بعض الكتابات اللّسانيّة عن هذا العجز الواضح عن مسايرة مستجدات البحث اللّسانيّ، كما هو الحال في بعض المؤلفات اللّسانيّة التمهيدية، فعدد لا يستهان به من مؤلفي هذا النّمط من الكتابة يرددون الكثير من مبادئ الدرس اللّسانيّ التي تجاوزت منذ أمد بعيد."[1]، ولا يعرضون ماهو جديد مستحدث فضعف المستوى التعريفي للمتخصصين في حقل اللّسانيّات أثر على علمية التلقي حيث نجد كثيرا من الطلبة يشكون من عدم الفهم لدروس ويتهمون اللّسانيّات بأنّها مادة جافه وصعبة التلقي.

ت.انعدام مفهوم المدرسة اللّسانيّة في الثقافة العربية:

ونقصد من هذا العنوان وجود ما كان موجوداً عند أسلافنا سابقاً :المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية، حيث كانت تجمع كل واحدة منهما جماعة من اللّغويين كانوا يعملون تحت سقف منهجي واحد فأدى ذلك إلى تأسس نظرية نحوية اكتملت مبادئها وأسسها بفضل جهود مشتركة يكمل منها الآخر ما بدأه الأول إمّا بتطوير جهوده أو تصحيح أخطاءه – إنّ وجدت– وقد أدى تكاثف الجهود وتوحدها وتماسكها إلى ظهور مدرستين في النحو مازال العالم إلى يومنا هذا يتحدث عنهما، ولم يتوقف الأمر عند هاتين المدرستين بل تجاوزهما إلى أنّ وصل إلى عدّة مدارس منها المدرسة المصرية، المدرسة الأندلسية وكلمة المدرسة هنا "تعني مجموعة النحاة الذين كانوا يدرسون في بيئة معينه سواء ضمهم منهج موحد

[1]– حافظ إسماعيل علوي، اللّسانيّات في الثقافة العربية، مرجع سابق، ص87.

خاص بهم له أسسه وقواعده المعرفية المستقلة، أم كان مبنياً على منهج من سبقهم ."[1] فأين نحن من عمل أسلافنا في إنشاء مدارس لّسانيّة نظّم مجموعة من اللّسانيّين يعملون تحت سقف واحد بغية تطوير الدرس اللّسانيّ العربي؟. لكن ما نراه في الواقع هو أنّ اللّسانيّين العرب قد انزوى كل واحد منهم في زاوية وحده وراح يخوض في قضايا لّسانيّة إمّا تطرق غيره لها، أو لم يتطرق، وفي هذا يقول حافظ إسماعيل علوي:"وعلى طرف نقيض نجد الصراع على أشّده بين اللّسانيّين العرب، وهو صراع ابتعد في كثير من الأحيان عن حدود اللياقة وتجاوز اللّسانيّات إلى التلاسن، وقد ترتب على هذا عزوف اللّسانيّين عن خطابات بعضهم، وحتى إنّ حصل نوع من الإقبال فإنّه لا يكون إلاّ بنوايا مبيتة تهدف إلى النيل من الكاتب ومن قدراته العلمية والمعرفية لا غير، وقد لا يحصل ذلك بين اتجاهات لّسانيّة مختلفة فقط، بل كثير ما نجده داخل الاتجاه اللّسانيّ الواحد."[2] وبهذا يكون حافظ إسماعيل علوي قد وصف واقع اللّسانيّين العرب والصراع القائم بسبب عدم التكاثف والاتحاد فيما بينهم مما أدى إلى إعراض بعضهم عن بعض خطابات، وإنّ حصل فلا يكون الأبنية النيل كما قال الثقيل من قيمته العلمية.

[1]– خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ط3، دار الأمل، الأردن، 2001، ص13.

[2]–حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص87، 86.

الفصل الأول: الخطاب اللساني التمهيدي العربي، نشأته، أهدافه

المبحث الأول: نشأة الخطاب اللساني التمهيدي العربي

المبحث الثاني: أهداف الخطاب اللساني التمهيدي العربي

المبحث الأول: نشأة الخطاب اللّساني التّمهيدي العربي.

تمهيد:

لقد واجه الدرس اللّسانيّ العربي في الثقافة العربية ما واجهه من صعوبات وعوائق عرقلت مساره وأدخلته في بوتقة الانتكاس والاندثار، إذ لم يشأ له القدر أنّ يعانقه القارئ العربي بصدر رحب، فقابله بالرفض والإعراض"باعتباره علماً انبثق من الحوض المعرفي الغربي."[1] هذا ما دفع برواده إلى الإسراع نحو تحصينه ورفع غطاء اللّبس عنه، فلجؤا إلى خطابات لّسانيّة تمهيديه بغية إخراجه من دوامة الغموض والإهمال وتقريبه إلى القارئ نفسه. تلك الخطابات التي اصطلح على تسميتها مصطفى غلفان وحافظ إسماعيل علوي وهبة خياري بـ"بطاقة تعريف تمنح للقارئ معرفة أولية مبسطة باللّسانيّات الغربية."[2] فهي ممارسة فعلية قام بها المتخصصون لتعريف القارئ العربي باللّسانيّات الحديثة وذلك بتبسيط مفاهيمها وتوضيح مناهجها، وأسسها الفلسفية والعلمية.

ونحن في هذا المبحث سنحاول أنّ كشف عن الانطلاقة الأولى للخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي، تلك الانطلاقة التي كانت إيذاناً ببداية النشاط اللّسانيّ العربي الحديث.

1- الخطاب اللّساني التمهيدي العربي:

لقد عمل الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي على إلباس اللّسانيّات ثوباً عربياً، لتلقى القبول والاستحسان عند القارئ العربي هذا الأخير الذي لا يعرف ولا يرضى بغير الدراسات اللّغوية القديمة، والتي حسب ظنّه أنّها ناضجة ومكتملة لا تحتاج إلى أنّ تحل محلها دراسات أخرى، هذا ما أدى بذلك العلم الغربي إلى الانصهار في بوتقة الفكر العربي، ليتم"توطينه ومنحه هوية غربية خالصة."[3] ليصبح جزءا من الثقافة العربية.

إنّ ظهور الخطاب اللّسانيّ التمهيديّ في أي ثقافة دليل على مواكبة تلك الثقافة لمستجدات العلوم، والثقافة العربية كغيرها من الثقافات عرفت الخطاب التمهيدي منذ عصور

---

[1]- حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص67.

[2]- هبة خياري، خصائص الخطاب اللساني، مرجع سابق ص80.

[3]- وليد العناتي، عيسى برهومة، اللغة العربية وأسئلة العصر، ط1، دار الشروق لنشر والتوزيع، عمان، 2007 ص113.

خلت، عندما كان العرب "يفتقرون إلى تراث علمي خاص بهم اتجهوا إلى الأقوام التي سبقتهم، فبدؤوا حركة ترجمة متواضعة لعلوم اليونان المتقدمون عليهم، وما إن أطل العصر العباسي حتى بدأ نقل العلم اليوناني والروماني والفارسي يتخذ هيئة عمل مؤسسي."[1] فلم تتأخر الثقافة العربية عن احتواء العلوم وإلباسها ثوباً عربياً لتصبح لبنة في الفكر العربي فقد "نجح العرب في نقل جزء من الثورة اللّسانيّة الحديثة ولكنه كان نقلاً أكثر منه فكراً، إذ لم تصر اللّسانيّات مكون من مكونات الفكر العربي الحديث."[2].هذا ما يجعلنا نطرح السؤال على أنفسنا هل استطاع الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي أنّ يعرف القارئ العربي –المتخصص وغير المتخصص– باللّسانيّات الغربية الحديثة ؟.

2– ظهور أول خطاب لّساني تمهيدي عربي:

يعود الفضل وكل الفضل إلى ظهور أول خطاب لّسانيّ تمهيدي حسب محمود السعران إلى"بعض المستشرقين الذين قاموا بالتدريس في كلية الآداب بجامعة القاهرة."[3] وكذا عودة بعض الدارسين الذين تخرجوا من الجامعات الأوروبية، من أمثال إبراهيم أنيس، محمود السعران، وميشال زكريا، وغيرهم ممن تخصصوا في اللّسانيّات الغربية واقتنعوا بأنّها العلم الجديد الذي سيتمكنون من خلاله إلى إعادة وصف اللّغة العربية، وإلحاقها بركب اللّغات الحية (الفرنسية، الانجليزية،...).

يجمع الباحثون وعلى رأسهم مصطفى غلفان وحافظ إسماعيل علوي، وحلمي خليل على أنّ أول خطاب لّسانيّ عربي تمهيدي ظهر في الساحة اللّغوية العربية لعبد الواحد وافي أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة، حيث ألف كتاباً أسماه"علم اللّغة" والعجيب أنّ عبد الوافي لم يكن متخصصاً في اللّسانيّات، وإنّما كان تخصصه في علم الاجتماع، ولكنه كان يدرسها في جامعة القاهرة حسب ما يذكر هو حيث يقول "وقد وقفت قسطاً من جهودي على هذا العلم وقمت بتدريسه مدة طويلة."[4] .

---

[1]– وليد العناني، عيسى برهومة، اللغة العربية وأسئلة العصر، مرجع سابق، ص117.

[2]– المرجع نفسه، ص127.

[3]– محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص26.

[4]– علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ط6، دار نهضة مصر لطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ص26.

ظهر علم اللّغة أول مرة حوالي سنة 1940، وجاء في مقدمته اعتراف من مؤلفه عبد الواحد وافي بأنّه أول من ألف في هذا العلم الجديد (اللّسانيّات) حيث يقول :"وهو على الرغم من ذلك لم يكتب باللّغة العربية –على ما أعلم – مؤلف يعتد به."[1] ثم ألف كتابه "فقه اللّغة" الذي يعتبره الجزء الثاني "لعلم اللّغة" حيث يقول في مقدمته: "فمؤلفنا هذا بمنزلة الجزء الثاني من كتاب علم اللّغة."[2] ثم يذكر حلمي خليل أنّه "في سنة 1946أصدر عبد الواحد وافي كتابه (اللّغة والمجتمع) وكان من سلسلة مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية."[3]

تعرض حلمي خليل في خطابه (مقدمة لدراسة فقه اللّغة) لتحليل مؤلفات وافي، فبدأ بالمضمون ثم العناوين، حيث يقول:" أمّا كتاب علم اللّغة فهو يقدم فيها فروع ومجالات علم اللّغة(linguistes) كما كانت معروفة في أوروبا خلال النصف الأول من هذا القرن."[4]

وقد حددها وافي في تمهيد خطابه، ثم يضيف حلمي خليل "وأوضح من بناء الكتاب وتداخل موضوعاته وإسقاط موضوعات أخرى تتصل بعلم اللّغة أنّ المؤلف كان يرمي إلى تقديم دائرة معارف صغيرة عما يسمى بعلم اللّغة عند الأوروبيين ."[5] نفهم من هذا أنّ وافي كان يهدف إلى تعريف القارئ العربي بعلم غريب عن ثقافته وذلك من خلال عرضه لأصول وفروع ذلك العلم، أي أنّ هدفه كان تعليمي بحت.

ومنَ المآخذ التي سجلها حلمي خليل على خطاب وافي والمتمثل في "علم اللّغة" حسب ما يقول:"عدم التفرقة بين المنهج التاريخي المقارن والدراسة الوصفية للّغة في تقسيمه لفروع علم اللّغة."[6] فكما هو معلوم أنّ المنهج التاريخي المقارن يهتم بتاريخ اللّغات والمقارنة بين مستوياتها، أمّا الدراسة الوصفية فهي تهتم بدراسة اللّغة دراسة وصفية آنية ووصف مستوياتها، دون النظر إلى تاريخ نشوئها وأزمنة تطورها، وقد ظهرت المدرسة الوصفية كثورة على المدرسة التاريخية، هذا عن "علم اللّغة"، أمّا عن "فقه اللّغة" فيقول حلمي خليل أنّه

---

[1]– علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، مرجع سابق، ص26.

[2]– المرجع نفسه، ص26.

[3]– حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003، ص72.

[4]– المرجع نفسه، ص72.

[5]– المرجع نفسه، ص72.

[6]– المرجع نفسه، 73.

"يتناول بطريقة مباشرة موضوعات علم اللّغة التاريخي المقارن بصورة عامة، مع اهتمام خاص بالّغات العائلة السامية"[1] وهذا يتناقض مع منهج البحث في هذا الخطاب حسب حلمي خليل والذي حدده وافي بقوله "منهج للبحث استقرائي وصفي."[2] لأنّ المنهج الوصفي يهتم بدراسة اللّغة دراسة وصفية آنية في حين الفكرة التي طرحها وافي في خطابه تتمثل في دراسة اللّغة دراسة تاريخية، والكشف عن التطور والتغير الذي أصابها، ويضيف حلمي خليل عن الفرق بين الخطابين بقوله:"ولكن تحديد المؤلف للعلوم أو الدراسات التي يحتاجها الباحث في فقه اللّغة على النحو الذي سبق، بأنّ لا فرق بين علم اللّغة وفقه اللّغة أو أنّ الدراسة التاريخية والدراسة الوصفية للّغة شيء واحد وهذا غير صحيح."[3] وذلك راجع حسب حلمي خليل إلى الخلط بين فقه اللّغة عند العرب وفقه اللّغة عند الأوروبيين، أو ما يعرف بـ(الفيلولوجيا)(philology) مما أدى إلى ترجمة المصطلح (الفيلولوجيا) بـ(فقه اللّغة)ثم بعد ذلك شاع مصطلح (فقه اللّغة)على أنّه (الفيلولوجيا)أو(فقه اللّغة)وصارت تؤلف خطابات في (فقه اللغة) وخطابات في(علم اللّغة) لا تختلف إلاّ في مصطلح العنوان، أي تحمل الأفكار والمبادئ ذاتها.

ويرى مصطفى غلفان أنّ خطاب وافي (علم اللّغة) "يخلو من تقنيات التحليل اللّسانيّ الضرورية بالنسبة لكل مبتدئ في هذا العلم."[4] لأنّه قد طغى عليه المنهج التاريخي الذي يبحث في تاريخ اللّغة، وما يطرأ عليها من تغيرات، ثم ليعود مصطفى غلفان ليشيد بالكتاب فيقول:"وبصرف النظر عن هذه الجزئيات التقنية المتعلقة بطبيعة العمل اللّسانيّ نفسه، فقد استقبلت الثقافة العربية الحديثة مؤلف عبد الواحد وافي (علم اللّغة) بحفاوة اللّغة إذ طرأ عليه مجمع اللّغة العربية بالقاهرة سنة 1945، لما بذله المؤلف من جهد في البحث والدرس والاستخلاص ."[5] ولأنّه أول مؤلف يحوي موضوعات لّغوية غريبة عن الثقافة العربية

---

[1]– حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، مرجع سابق، ص85.

[2]– المرجع نفسه، ص84.

[3]– المرجع نفسه، ص84.

[4]– مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، مرجع سابق، ص121.

[5]–المرجع نفسه، ص143.

قد هدف عبد الواحد وافي من خلال خطاباته المتمثلة في "علم اللّغة"، "فقه اللّغة"، "اللّغة والمجتمع" إلى وضع الثقافة العربية ومن يحرصونها أمام واقع قبول اللّسانيّات كعلم حديث يدرس اللّغة دراسة علمية، ويبدو أنّ وافي قد وفق في ذلك بدليل أنّه وبعد سنوات قليلة ظهر الخطاب المتمثل في (الأصوات العربية) أنيس إبراهيم، ويعتبر كما تقول فاطمة بكوش "أول كتاب عربي حاول تطبيق النظرة البنوية في وصف أصوات اللّغة العربية."[1] ويقول عنه محمود السعران :"بعد كتاب وافي، صدر سنة 1947 (كتاب الأصوات)لإبراهيم أنيس الذي عدّ أول مؤلف باللّغة العربية يعرض الموضوع من وجهة نظر العلم الحديث."[2] ويقصد أنّ أنيس ابتعد عن التنظير إلى التطبيق، أي أنّه طبق مبادئ اللّسانيّات على قضايا اللّغة العربية، ليكون بذلك أول لبنة في صرح الدرس العربي.

ويجمع الباحثون أنّ (الأصوات اللّغوية) ظهر سنة 1974، ويؤكد إبراهيم أنيس نفسه في مقدمة خطابه أنّه الأول من نوعه حيث يقول"كان الأول من نوعه في اللّغة العربية،لا أدعي له الكمال في كل نواحيه." فهو لم يشير إلى مؤلفات وافي، لأنّها كما سبق الذكر لم تطبق مبادئ علم اللّغة الحديث على اللّغة العربية واهتمت بالدراسة التاريخية لعلم اللّغة الحديث أو فعرض أصوله وفروعه لا غير.

ألف أنيس بعد الأصوات اللّغوية خطابه المتمثل في (اللّهجات العربية)ولم يشر فيه إلى سنة نشره، ولطن أعيد نشره سنة 1952، وفي هذه الطبعة أثبت حرف الجر (في) ليصبح العنوان (في اللهجات العربية)ويتحدث إبراهيم أنيس في مقدمة خطابه عن علم اللّهجات وأنّه علم أوروبي فيقول:"وتعد دراسة اللّهجات من أحدث الاتجاهات في البحوث اللّغوية، وقد تمت هذه الدراسة بالجامعات الأوروبية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، حتى أصبحت الآن عنصرا مهما بين الدراسات اللّغوية الحديثة، وأسس لها في بعض الجامعات الراقية فروع خاصة بدراستها، تعنى بشرحها، وتحليل خصائصها، وتسجيل نماذج منها تسجيلاً صوتياً يبقى على الزمن."[3] هكذا يظهر إبراهيم أنيس بعد عودته من إنجلترا بعدما أنّهى

---

[1]– فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني الحديث، ص18.

[2]– محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، مرجع سابق، ص42.

[3]– إبراهيم أنيس، اللهجات العربية، ط5، مكتبة لأنجلو مصرية، القاهرة، 1979، مقدمة.

تخصصه في علم اللّغة الحديث سنة 1906 حريصاً على تعريف القارئ العربي على آخر ما أنتجته الدراسات الأوروبية من نظريات، ومناهج لّغوية، وأكثر من ذلك عمل على تطبيقها على اللّغة العربية، ليثبت أنّها لا ترفض هذا النوع من الدراسة كما زعم البعض، أمّا عن آراء بعض الباحثين عن خطابات إبراهيم أنيس، فيقول حلمي خليل "يبدو أنّ خطة إبراهيم أنيس كانت تهدف إلى وضع مؤلفات تتناول دراسة مستويات اللّغة العربية الصوتية و الصرفية والنحوية والدلالية وفق منهج علم اللّغة في الدراسة العلمية للّغة."[1] والخلط نفسه بين (علم اللّغة)و(فقه اللّغة) الذي أسقطه على خطابات عبد الواحد وافي ،أسقطه نفسه على خطابات إبراهيم أنيس حيث يقول:"ومع ذلك لم تؤدي هذه الدراسات والأبحاث إلى وضع حدود واضحة بين (علم اللّغة) و(فقه اللّغة) سواء عند العربي أو عند الأوروبيين ."[2] أمّا رأي فاطمة بكوش في خطابات إبراهيم أنيس فقد عدتها من المصنفات الرائدة التي ظهرت في بداية النشاط اللّسانيّ العربي حيث بدأت أولاً بنقد (الأصوات اللّغوية)الذي نسبه المؤلف إلى الفونولوجيا، تقول فاطمة بكوش فيما يخص المؤلف:"ونشير هنا إلى أنّ إبراهيم أنيس كان وريث التقليد الانجليزي الذي ركز على الدراسات الفونيتكية للأصوات في مقابل المدرسة الأوروبية، ممثلة في حلقة براغ التي كرست الدراسات الفونولوجية، وقد كان إبراهيم أنيس موافقاً في تقديم تعريفات للمجالين بحكم إطلاعه المؤكد على أعمال هذه الحلقة على أعمال هذه الحلقة وبحكم انتشار مفاهيمها ومصطلحاتها، لكنّه لم يوفق في تصنيفه لكتابه في الدراسة الفونولوجية."[3] فالأولى أن يصنفه في الفونيطيقيا (phonetics) لأنّ دراسة الأصوات اللّغوية بالشكل الذي عرضه إبراهيم أنيس هو أقرب إلى الفونيطيقيا منه إلى الفونولوجيا.

أمّا رأيها في (اللّهجات العربية) فلم يكن واضحاً عدا ما سجلته من عدم ذكر إبراهيم أنيس المصادر التي اعتمد عليها بقولها:"ولم يذكر كعادته، مصادره."[4] وذلك لأنّه طرح قضايا لّغوية عدها من المشكلات التي ما نزال تحتاج إلى الدّقة في تفسيرها كقضية القياس

---

[1]– حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللّغة، مرجع سابق، ص76.

[2]– المرجع نفسه، ص77.

[3]– فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللّسانيّ العربي، مرجع سابق، ص34.

[4]–المرجع نفسه، ص36.

والاشتقاق، وعلاقة النحو بالمنطق، وقضية الإعراب، لينهي كتابه بفصل خصصه للجملة وأقسام الكلام بين القدامى والمحدثين.

أمّا رأي مصطفى غلفان الذي تناول فيه بصفة عامة الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي بعد عبد الواحد وافي فيقول:"ومنذ هذا التاريخ تدرجت الكتابة اللّسانيّة العربية الحديثة متفاوتة في قيمتها المنهجية ومستواها العلمي بالقياس لما وصل إليه البحث اللّسانيّ العام، وبلغت بعض الكتابات اللّسانيّة العربية التي تعرف باللّسانيّة مستوى جيداً."[1]، وقد تلاّ إبراهيم أنيس باحثون كثر ممن آمن بجدية اللّسانيّات وبضرورة ممارستها كعلم حديث يدرس اللّغة دراسة علمية، فراحوا يعرضونها على الساحة العربية كل حسب رؤيته وفهمه لها، مما نتج عنه نوعان من الخطاب التمهيدي، خطاب تناول اللّسانيّات العامة، وخطاب تناول اللّسانيّات المتخصصة والدعوة إلى ضرورة تطبيقها على اللّغة العربية، ومن هؤلاء ريمون طحان الذي نادى بضرورة تطبيق آخر ما وصلت إليه اللّسانيّات من نظريات على اللّغة العربية حيث يقول :"واستثمر العلم العصي البنيانية (structurealisme) في مختلف الحقول حتى أنّها أدخلت في العلوم الألسنية حيث أحرزت نتائج ملموسة وقد آن للدراسات اللّغوية العربية أنّ تعتمد البنيانية كعنصر جديد سيكتب له البقاء والنجاح المستمر."[2] لقد كان ريمون طحان من الذين طبقوا نظريات ومناهج اللّسانيّات الحديثة على اللّغة العربية ولم يكتفوا بمجرد عرضها وعرض أسسها النظرية والمنهجية، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ انطلاق النشاط اللّسانيّ العربي تزامن مع ظهور المدرسة البنيوية واكتمال أسسها المنهجية ومبادئها النظرية لذلك نجد جل الخطابات اللّسانيّة التمهيدية في ذلك الوقت تتناول البنيوية إمّا بتعريفها وإمّا بتطبيقها على اللّغة العربية وفي هذا تقول فاطمة بكوش "لقد كان القرن العشرين قرن البنوية أو الوصفية كما عبر تمام حسان أو كما اعتاد اللّسانيّن الغرب على وصفه، لذلك نجد في مصنفاتهم إشارة إلى أفكار دوسوسير، فيرث، وبلومفيد، وتروبيسكوي، وسواهم ممن ارتبطت بهم اللّسانيّات البنيوية."[3] وتكاد تكون الإشارة إلى المنهج التاريخي والمنهج المقارن أو

[1]– مصطفى غلفان، اللّسانيّات في الثّقافة العربية الحديثة، مرجع سابق، ص143.

[2]– ريمون طحان، الألسنية العربية (الألسنية1)، ط2، دار الكتاب اللبناني، لبنان،1981، ص12.

[3]– فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، مرجع سابق، ص24.

المنهج التاريخي المقارن معدومة، ولا تعتبر فاطمة بكوش مؤلفات عبد الواحد وافي ضمن النشاط اللّسانيّ العربي لأنّها تناولت المنهج التاريخي وأهملت المنهج البنيوي.

وفيما يلي سنعرض قائمة الخطابات اللّسانيّة العربية، وهذه القائمة آخذناها من خطاب (نشأة الدرس اللّسانيّ العربي الحديث)لصاحبته فاطمة بكوش، والتي لم يرد في خطابها هذا مصطلح(الخطاب اللّسانيّ العربي التمهيدي) رغم أن هذا الخطاب يدور حول (الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي)، نشأته وموقعه من مسار الدرس اللّسانيّ العربي[1].

اسم المؤلف	عنوان الكتاب	سنة الطبع
د.إبراهيم أنيس	الأصوات اللّغوية	1941(و 1946)
د.عبد العزيز القوصي	اللّغة والفكر	1946
إبراهيم أنيس	اللّهجات العربية	1946
د.إبراهيم أنيس	من أسرار اللّغة	1951
د.صالح الشماع	ارتقاء اللّغة عند الطفل	1953
د.إبراهيم أنيس	أبواب الثلاثي (مجلة مجمع اللّغة العربية بالقاهرة)	1955
د.أنيس فريحه	اللّهجات والأسلوب دراستها	1955
د.عبد الرحمن أيوب	دراسة نقدية في النحو العربي	1957
د.إبراهيم أنيس	دلالة الألفاظ	1958

[2]– ينظر فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، مرجع سابق، ص26، 27، 28.

د.تمام حسان	اللّغة بين المعيارية الوصفية.	1958
محمود السعران	اللّغة والمنهج رأي ومنهج.	1958
أنيس فريحة	تبسيط قواعد اللّغة العربية على أسس جديدة.	1959
د.كمال محمد بشير	قضايا لّغوية.	1962
د. عبد الرحمن أيوب	العربية ولّهجاتها.	1964
د.عبد الرحمن الحاج صالح	النحو العربي والمنطق (مجلة كلية الآداب- جامعة الجزائر).	1964
د.عبد الرحمن أيوب	محاضرات في اللّغة	1966
د.محمد أحمد أبو الفرج	المعاجم اللّغوية في ضوء دراسات علم اللّغة الحديث	1966
د.إبراهيم أنيس	من طرف تنمية الألفاظ في اللّغة	1966
د.تمام حسان	وظيفة اللّغة في مجتمعنا المعاصر	1966
د.كمال محمد بشير	الألف في اللّغة العربية(مجلة مجمع اللّغة العربية بالقاهرة)	1967
د.عبد الرحمن أيوب	سيبويه والتحليل الشكلي(مجلة الأقلام- بغداد)	1967
د.رمضان عبد التواب	لحن العامّة والتطور اللّغوي	1967
د.داود عيد	أصوات العربية وحروفها	1968
د.داود عبده	أبحاث في اللّغة العربية	1969

د.تمام حسان	أمن اللّبس(حوليات دار العلوم بجامعة القاهرة)	1968-1969
د.إبراهيم أنيس	منهج الإحصاء في البحث اللّغوي(مجلة كلية الآداب-الجامعة الأردنية)	1969
د.كمال بشر	همزة الوصل(حوليات كلية دار العلوم بجامعة القاهرة)	1968-1969
د.تمام حسان	منهج النجاة العرب(حوليات دار العلوم بجامعة القاهرة)	1969-1970
د.محمود فهمي حجازي	علم اللّغة بين التراث والمناهج الحديثة	1970
د.ريمون طحان	اللّغات الأساسية والعربية(مجلة مواقف-بيروت)	1970
د.علي القاسمي	مختبر اللّغة	1970
د.ريمون طحان	الثوابت في اللّغة والفكر(مجلة مواقف-بيروت)	1971
د.إبراهيم أنيس	دور الكومبيوتر في البحث اللغوي(مجلة مجمع اللّغة العربية بالقاهرة)	1971
د.حنفي بن عيسى	محاضرات في علم النفس اللّغوي	1971
د.عبد الرحمن الحاج صالح	مدخل إلى علم اللّسان الحديث(مجلة اللّسانيّات-الجزائر)	1971
د.ريمون طحان	الألسنية العربية	1972
د.حلمي موسى	دراسة إحصائية لجذور مفردات اللّغة العربية،الجذور غير الثلاثية	1972
د.محمد عيد	الرواية والاستشهاد باللّغة	1972

د.إبراهيم أنيس	عود إلى الإحصائيات اللّغوية(مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة)	1972
د.محمد عيد	أصول النحو العربي	1973
د.عبد القادر المهيري	خواطر حول علاقة النحو العربي بالمنطق واللغة(حوليات الجامعة التونسية)	1973
د.علي حلمي موسى،عبد الصبور شاهين	دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكومبيوتر	1973
د.تمام حسان	اللّغة العربية معناها ومبناها	1973
د.إبراهيم أنيس	النظام الالكترونية تحصي جذور مفردات اللّغة (مجلة اللسان العربي–الرباط)	1973
د.أنيس فريحه	نظريات في اللّغة	1973

كانت هذه المؤلفات التي شكلت النشاط اللّسانيّ العربي في بدايته وأغلبها تناولت اللّسانيات البنوية التي كانت هي المهيمنة على الساحة اللّغوية الغربية، وهي منوعة بين كتب ومقالات نشرت في المعاهد اللّغوية أو مجلات المجامع اللّغوية أو المجلات الفكرية التي تهتم بالبحث اللّغوي، على أنّ الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي لم يقتصر فقط مؤلفات اللّغويين العرب بل شملت كذلك ما ترجموه من الكتب الأجنبية المتخصصة في علم اللّغة الحديث

3–الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي المترجم:

يقول الأستاذ عمار لحسن :"ظهرت حركة ترجمة حثيثة منذ الستينيات من هذا القرن محاولة تدارك التأخر الذي شهدته اللّسانيّات العربية عن غيرها من لغات العالم."[1] وذلك بترجمة العديد من المقالات والخطابات الغربية التي تعد من أصول اللّسانيّات الحديثة في

[1]– عمار لحسن، أهمية الترجمة وشروط إحيائها، المجلس الأعلى للغة العربية، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص184.

أوروبا، الخطاب المتمثل في "محاضرات في اللّسانيّات العامة"لأبي اللّسانيّات الغربية دي سوسير.

لقد كانت الترجمة أحد الجسور المهمة التي كانت حلقة وصل بين الثقافة العربية والثقافة العربية، منذ العهد العباسي، وهي نشاط علمي يمارسه العرب كلما دعت الضرورة إليه، ومع ظهور اللّسانيّات كعلم جديد له مبادئه وأسسه العلمية، احتاج العرب إلى الترجمة لنقل اللّسانيّات من ثقافتها التي نُبتت فيها إلى الثقافة العربية ليتسنى للقارئ التعرف عليها وهي في ثوب عربي، يقول صاحب كتاب الخطة القومية للترجمة: "ثمة قراء عرباً حتى ممن درس العلوم باللّغة الأجنبية، يأنسون بسماع نص علمي يُتلى عليهم، أو يتلونه بأنفسهم باللّغة العربية ويرتاحون لقراءة دراسة أو مقال علمي مكتوب بالعربية الأم."[1] لأنّ للّغة خصوصيات لا يعرفها إلاّ أهلها.

بدأت حركة الترجمة مع بداية النشاط اللّسانيّ العربي وإلاّ كما يقول صاحب الخطاب المتمثل في الثقافة ووسائل نشرها في الوطن العربي: "ما نفع ترجمة بعض المكتشفات العلمية أو بعض التيارات الفلسفية والأدبية بعد انقضاء أمرها وأفول نجمها أو أنّ يتجاوز الزمن بمكتشفات جديدة."[2] لذلك حرص بعض الغرب على ترجمة بعض الخطابات والمقالات قبل أنّ يقتضي أمرها ويتجاوزها الزمن بنظريات جديدة.

يذكر محمود السعران وفاطمة بكوش التّرجمة اللّسانية التي عرفتها الثّقافة العربية، على أنّها تلك التّرجمة التي قام بها احمد مندور، حيث ترجم مقالات للعالم اللّغوي الفرنسي **أنطوان ماييه** بعنوان (منهج البحث في علم اللّسان):سنة 1946، ثم تلت هذه التّرجمة تّرجمة كاملة لخطابه(للّغة) للّغوي الفرنسي جوزيف فندريس سنة 1950 قام بها كل من محمد القصاص وعبد الحميد الدواخلي، وفيما يلي قائمة بأهم الترجمات التي واكبت النشاط اللّسانيّ العربي منذ بدايته والتي أحصتها فاطمة الهاشمي بكوش في خطابها المتمثل في (نشأة الدرس اللّسانيّ العربي الحديث)

---

[1]– المنظّمة العربية لتربية والثقافة والعلوم، الخطة القومية لترجمة، مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي، الدورة العاشرة، تونس، 1996، ص86.

[2]– المنظّمة العربية لتربية والثقافة والعلوم، الثقافة ووسائل نشرها في الوطن العربي، ص69، (201/300).

المؤلف	المؤلف	الترجمة	سنة الترجمة
اللّسان علم	أنطوان ماييه	محمد مندور	1946
اللّغة	جوزيف فندريس	محمد القصاص،عبد الحميد الدواخلي	1950
اللّغة بين الفرد والمجتمع	أوتو يسبرسن	عبد الرحمن أيوب	1954
اللّغة والفكر عند الطفل	جون بياجي	أحمد عزت راجح	1954
اللّغة في المجتمع	م.م لويس	تمام حسان	1959
علم اللّغة	لوتز(في كتاب أفاق المعرفة)	صفاء خلوصي	1962
دروس في علم الأصوات العربية	جان كانتينو	صالح قرمادي	1966
أن أحيا وأتكلم	دوارنين ياكيسون وشتراوس	مجلة الفكر –تونس	1968
أصوات وإشارات	كوندراتوف	إدوارد يوحنا	1971
تاريخ علم اللّغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين	جورج مونان	بدر الدين قاسم	1972
أسس علم اللّغة	ماريوباي	أحمد مختار عمر	1973
علم اللّغة ومشكلة الوعي	آرابو	مجلة العلم والمجتمع –القاهرة	1975

التخطيط اللّغوي	بول جونتان	مجلة اللّسان العربي	1976
خصائص علم اللّغة المعاصر وأهدافه	رومان ياكيسون	في كتاب الاتجاهات الرئيسية للبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية–دمشق	1976
العلاقة بين علم اللّغة والعلوم الأخرى	رومان ياكيسون	في كتاب الاتجاهات الرئيسية للبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية–دمشق	1976
مدخل إلى اللّغويات التطبيقية	كوردر	مجلة اللّسان العربي	1974 – 1978
مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام	بول غرام	مجلة اللّسان العربي	1978
بحث في فنولوجيا اللّغة العربية	أوديت بتي	مجلة الفكر العربي –بيروت	1979
التعريف بعلم اللّغة	ديفيد كريستال	حلمي خليل	1979
دراسات لّغوية في ضوء الماركسية	مجموعة باحثين روس	حلمي خليل	1979

الملاحظة التي يمكن أنّ نشير إليها، هي غياب بعض الكتب التي تعتبر من أصول اللّسانيّات الغربية، كخطاب دي سوسير والمتمثل في (محاضرات في الألسنية العامة)والذي لم يترجم إلاّ في سنة 1985، وتشير فاطمة بكوش إلى أنّه "لم يترجم كتاب تروبتسكوي (مبادئ للفنولوجيا) إلى اليوم على الرغم من أنّه الكتاب الذي أسس للفنولوجيا وحدد هذا العلم ومفاهيمه، ولم نجد محاولة لترجمة كتاب (لرومان ياكبسيون)."[1]، وهذا يجعلنا نحكم على

[1]– فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي،مرجع سابق، ص31.

الترجمة بأنّها لم تتم وفق خطة جماعية واعية لأهمية المؤلفات التي يجب أنّ تترجم وهذا رأي كثير من الباحثين أمثال حافظ إسماعيل علوي، ومصطفى غلفان، وفاطمة بكوش.

أ. رأي حافظ إسماعيل علوي:[1]

يرى حافظ إسماعيل علوي أنّ الترجمة اللّسانيّة في الثقافة العربية واجهت نوعين من العقبات: عقبات خارجية، وأطلق عليها إبستيمولوجيا الترجمة وتتمثل في: تأخر البعثات اللّسانيّة إلى الخارج، وغياب شرط التفاعل الحضاري وانعدام سوق لّسانيّة ووجود مجموعة من المدعين، وعقبات داخلية، أطلق عليها إيستيمولوجيا الترجمة وتتجلى في: غياب التكامل وعدم التنسيق بين الباحثين(وهي الملاحظة التي سجلت على القائمة السابقة) ونقص المعجم اللّسانيّة العربية، التي تهتم بصناعة المصطلح اللّسانيّ العربي.

ب.رأي مصطفى غلفان:

يرى هو الآخر أنّه "رغم تعدد العناوين اللّسانيّة المترجمة للعربية وتنوعها، فإنّ الثقافة العربية في اعتقادنا لم تواكب دائما ترجمة كل الإصدارات اللّسانيّة الحديثة خاصة منها تلك التي تشكل نقطة تحول كبرى في الدرس اللّسانيّ العام أو التي لها طابع تطبيقي صرف وتتطلب من القارئ العربي مهارات إضافية"[2] وهي الملاحظة نفسها التي سجلتها فاطمة بكوش.

ت.رأي فاطمة بكوش:

ترى فاطمة بكوش أنّ "حركة الترجمة في هذه المرحلة، عملية غير مدروسة ولا مخطط لها، وإنّما كانت جهوداً عشوائية لا تتبع أسلوب الانتقاء الواعي."[3] بمعنى غياب خطة جماعية مدروسة للترجمة، وهذا راجع في نظرنا إلى التردد الذي عرفته الثقافة العربية في قبول أو عدم قبول اللّسانيّات الغربية.

---

[1]– ينظر حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص197، 196، 195.

[2]– مصطفى غلفان، اللّسانيّات في الثّقافة العربية الحديثة، مرجع سابق، ص148.

[3]– فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللّساني العربي، مرجع سابق، ص31.

4- الخطاب اللّساني التمهيدي وإشكالية المصطلح اللّساني:

أجمع الباحثون أنّ قضية المصطلح اللّسانيّ من أبرز القضايا التي واجهت اللّسانيّين العرب في بداية النشاط اللّسانيّ ومازالت قائمة إلى يومنا هذا رغم ما قام به بعضهم من عمل معاجم لّسانيّة تسهل على القارئ العربي المتخصص وحتى غير المتخصص فتح أبواب اللّسانيّات والولوج إليها دون إشكال، ومن أبرزها (قاموس اللّسانيّات)لعبد السلام المسدي و(المعجم الموحد لمصطلحات اللّسانيّات)الذي أشرف عليه عبد الرحمن الحاج صالح ومولته المنظمة العربية لتربية والثقافة والعلوم، وقد قام الأستاذ عمار لحسن بتتبع المصطلح اللّسانيّ في ستة كتب لّسانيّة كما يذكر" وقد تتبعت ترجمة مصطلحات سوسير في ستة كتب لّسانيّة هي:(المعجم الموحد لمصطلح اللّسانيّات) الذي وضع بإشراف عبد الرحمن الحاج صالح، وتمويل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، و (قاموس اللّسانيّات)لعبد السلام المسدي، وخطاب (الألسنية علم اللّغة الحديث) لمشال زكريا، وخطاب(اللسانيات العامّة الميسرة) لسليم بابا عمر وباني عميري، وخطاب (محاضرات في الألسنية العامّة) لسوسير ترجمة صالح القرمادي ومحمد عجينة ومحمد شاوش، وكانت النتيجة كما يلي:[1]

ترجمة عند المصطلح	غازي	الرمادي	المسدي	زكريا	بابا عمر	حاج صالح
Langue	لّغة	لّغة	لّسان	لّغة	لّسان	لّغة/لّسان
Langage	لّسان	كلام	لّغة	لم يرد عنه هذا المصطلح	لّغة	لّغة/لّسان
Parole	كلام	لفظ	كلام	كلام	كلام	كلام
Synchronie	تزامنية	آنية	آنية	تعاصريه	آنية	الوضع الآني

[1]- عمار لحسن، اللّسانيّات والترجمة، أهمية الترجمة وشروط إحيائها، مرجع سابق، ص189، 188، 187.

Diachronie	تزامنية	زمانية	آنية	تاريخية	زمنية	زماني
Syntagmatique	تركيبي	سياقي	نسقي	ركنية	تركيبي	تركيبي
Paradigmatique	ترابطي	ترابطي	جدولي	استبدالي	استبدالي	تصريفي
Signe	العلامة	الدليل	العلامة	الإشارة	الدليل	الدليل
Arbitraire	اعتباطية	اعتباطية	اعتباطية	كيفية	لم يرد عنه هذا المصطلح	اعتباطية

والملاحظة التي يمكن أنّ نسجلها من هذا الجدول هي كما قالها عمار لحسن"الاختلاف والتباين في إطار ترجمة عدد يسير من المصطلحات التي تعتبر العود الفقري للّسانيّات، والتي انبنت عليها جل المدارس اللّسانيّة الحديثة"[1] ومشكلة الاختلاف والتباين ليست وليدة اللّحظة، فكل اللّسانيّين عامّة والمتخصصين في الترجمة اللّسانيّة خاصة يدركون ذلك الوضع، فكلما حاولوا معالجتها من خلال الندوات والملتقيات والبحوث لا يتوصلون إلى حل واحد يقضي على هذه المشكلة فـ"رغم الوعي الواضح لدى بعضهم بالأبعاد النظرية والمنهجية للمشكلة اللّغوية فأزمة المصطلح اللّسانيّ ما زالت قائمة وبشكل حاد بدليل ما يكتب قي البحوث ويلقى في الندوات."[2] هذا ويمكننا رصد الأسباب التي أدت إلى ظهور المشكلة في النقاط التالية، كما ورد ذكرها في خطاب محمد داود المتمثل في(العربية وعلم اللّغة الحديث):

"1-تعدد مصادر وضع المصطلح من الباحثين، ومجامع لّغوية، والجمعيات اللّغوية، دون تنسيق بينها أو اتفاق.

2-تعدد الترجمات للمصطلح الأجنبي الواحد.

[1]- عمار لحسن، اللسانيات و الترجمة، أهمية الترجمة وشروط إحيائها، مرجع سابق، ص190.

[2]- محمد العياشي صاري، المصطلح اللّسانيّ العربي الحديث من التأسيس إلى التدريس، مجلة الخطاب الثقافي، العدد03، خريف، 2008، ص37.

3-استخدام مصطلحات قديمة بمعنى جديد، مما يؤدي إلى اللّبس بين المعنيين القديم والجديد على نحو ما نجد في مصطلح (فقه اللّغة). "[1] فالبحث في قضية المصطلح اللّسانيّ العربي لا يمكن تتبعه في مرجع أو مرجعين لأنّ الأمر يتعلق في نشأته التي رافقت نشأة الحركة اللّسانيّة العربية وبقيت مستمرة معه إلى يومنا هذا، فلقد أعجبنا رأي حمزة المزيني في هذه القضية والذي أورده عياشي صاري في بحثه (المصطلح اللّسانيّ الحديث من التأسيس إلى التدريس) حيث يقول حمزة المزيني: "فالمشكلة الاصطلاحية في نظره موضوع قديم متجدد، وطرحه بالشكل الذي هو عليه في الكتابات فيه تضخيم ومبالغة بدليل أنّ الموضوع لم يكن قضية لا عند القدماء ولا عند الغربيين ."[2] ويعقب العياشي على هذا بقوله:"لقد وفق الباحث عندما أشار إلى تضخيم القضية...والشكوى من المصطلحات ليست وقفاً على العرب."[3] ونحن في بحثنا هذا نتفق مع كل من المزيني و العياشي فيما ذهبا إليه من أنّ قضية المصطلح اللّسانيّ قد ضخمت مع أنّها لم تكن كذلك عند بداية تأسيس علم اللّغة الحديث.

وتبقى مسألة أخيرة وهي مسألة المصطلح اللّسانيّ في الخطاب اللّسانيّ التمهيدي من الناحية التعليمية، فقد أدى تعدد المصطلح إلى التشويش على بعض الخطابات التمهيدية مما جعلها لا تحقق الهدف التعليمي، وهذا الرأي نجده عند العياشي صاري الذي عدد السلبيات التي يعاني منها واقع اللّسانيّات التعليمية أو التمهيدية ومن من بين تلك السلبيات:"تعدد المصطلحات وافتقار الكتابة اللّسانيّة التمهيدية إلى ثبت اصطلاحي (معجم تعليمي) يشمل تعريفات للمصطلح المفاتيح، مما أنتج خلطاً وفوضى في استخدام كثير منها."[4] ولقد عانينا كثيرا ونحن في بداية تلقي اللّسانيّات من فوضى المصطلحات اللّسانيّة(نقصد ليسانس) من التلقي، ونرى أنّ استقرار المصطلح اللّسانيّ العربي التعليمي يسهل عملية تلقي اللّسانيّات لدى القارئ العربي المبتدئ بصفة خاصة والقارئ العربي بصفة عامّة، ونورد في هذا المقام

---

[1]- محمد محمد داود، العربية وعلم اللّغة الحديث، دار غريب لطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص43، 42 بتصرف.

[2]- محمد العياشي صاري، المصطلح اللساني العربي الحديث من التأسيس إلى التدريس، مرجع سابق، ص37.

[3]- المرجع نفسه، ص37، بتصرف.

[4]- المرجع نفسه، ص49.

رأي مصطفى غلفان في قضية المصطلح اللّسانيّ حيث يقول"إنّ توحيد المصطلح وضبطه يعتبر خطوة أساسية لتحقيق الدقة المنهجية في الكتابة اللّسانيّة العربية الحديثة حتى يتسنى للجميع معرفة المرجعية اللّغوية التي تتحدث عنها."[1] نفهم من كلام مصطفى غلفان أنّ فوضى المصطلحات يمكن أنّ يؤثر سلباً على الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي مما يعيقها عن تحقيق هدفها التعليمي.

يمكن أن نقول في الأخير أنّ الحديث عن المصطلح اللّسانيّ قد أخذ أكثر مما يستحق من الوقت لذا لابد من توحيد المصطلحات في البحث اللّسانيّ العربي، ففي الوقت الذي تشهده اللّسانيّات تقدماً كبيراً في الدول الغربية مازلنا نحن العرب في صراع كبير مع المصطلح اللّسانيّ هل نعتمد في وضعه على الترجمة أم التعريب أم نعود لنفتش عنه في تراثنا اللّغوي، بين هذا الرأي وذاك الرأي يمضي الوقت وتضيع الجهود.

[1]– مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، مرجع سابق، ص157.

المبحث الثاني:الخطاب اللّساني التمهيدي العربي و أهدافه.

تمهيد:

لقد سعى رواد الدرس اللّسانيّ التمهيدي العربي من خلال الخطابات التي أنشؤوها إلى تبسيط وتسهيل اللّسانيّات إلى القارئ المبتدئ، هذا الأخير الذي يود التعرف على هذا العلم والإمساك بمفاتيحه التي تفتح له أبواب التبحر والاختصاص فيه فيما بعد، وعلى هذا يمكننا أنّ نطرح السؤال التالي: هل استطاع الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي أنّ يحقق هدفه في تقريب وتبسيط اللّسانيّات إلى القارئ العربي بالوجه المطلوب؟.

وللإجابة عن هذا الطرح الأخير سنحاول أنّ نتناول بعض الخطابات اللّسانيّة التمهيدية العربية بالوصف والتحليل وسنركز اهتمامنا على العناوين والمقدمات لما لها من أهميه بالغة في عملية القراءة "حيث تكمن أهمية هذين المكونين (العنوان والمقدمة) في كونهما أول المؤشرات التي تتحاور مع المتلقي، فتثير فيه نوعاً من الإغراق، والفضول العلمي والمعرفي وإليهما توكل مهمة نجاح الكتاب في إثارة استجابة القارئ بالإقبال عليه وتداوله، أو النفور منه واستهجانه"[1] فالعنوان هو العتبة الأولى التي يمر عليها القارئ والذي يولد انطباع الاستحسان أو النفور عند القارئ بعد ذلك تأتي مقدمة والتي تمثل العتبة الثانية التي يمر عليها القارئ والتي يلخص فيها صاحبها محتوى الخطاب بأسلوب يلفت القارئ نحو الاطلاع على المحتوى ...

1- قراءة وصفية تحليلية للخطاب اللّساني التمهيدي العربي:

ظهر الخطاب اللّسانيّ التمهيدي بهدف تبسيط وتسهيل اللّسانيّات وتقريبها إلى القارئ المبتدئ هذا القارئ الذي يريد ولوج عوالم الدرس اللّسانيّ والانخراط في مناهجه والتبحر في نظرياته، وبهذا تكون الغاية الأساسية من وضع ذلك الخطاب التمهيدي هي غاية تعليمية بالدرجة الأولى وهذا ما يؤكده حافظ إسماعيل علوي حين قال: "تحضر الغاية التعليمية بكثافة ."[2] في الخطاب اللّسانيّ التمهيدي، وهذا ما يظهر في عناوين ومقدمات أغلبية

---

[1]- حافظ إسماعيل علوي، أحمد الملاخ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2009، تقديم، ص15.

[2]- حافظ إسماعيل علوي، اللّسانيّات في الثّقافة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص100.

الخطابات اللّسانيّة التمهيدية العربية وحتى المترجمة منها، ويمكننا عرض القائمة التي تناولها حافظ إسماعيل علوي.

العنوان	المؤلف
علم اللّغة	علي عبد الواحد وافي
علم اللّغة:مقدمة للقارئ العربي	محمود السعران
علم اللّغة العام	توفيق محمد شاهين
في علم اللّغة العام	عبد الصبور شاهين
اللّسانيّات التوليدية والتحويلية	عادل فاخوري
الألسنية(علم اللغة الحديث)المبادئ والإعلام	ميشال زكريا
المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث فيه	رمضان عبد التواب
مدخل في اللّسانيّات	صالح الكشو
مدخل إلى علم اللّغة	محمود فهمي حجازي
مدخل إلى علم اللّغة	محمد علي الخولي
مدخل للّسانيّات سوسير	مبارك حنون
مدخل للصواته التوليدية	إدريس السخر وشني
دروس في السيميائيات	مبارك حنون
مقدمة في علوم اللّغة	البدراوي زهران
مقدمة في اللّسانيّات	عاطف فضل
مقدمة في اللّسانيّات	عيسى برهومة
مبادئ اللّسانيّات	أحمد محمد قدور
توطئة لدراسة علم اللّغة	التهامي الراجحي
مبادئ اللّسانيّات	خوله طالب الإبراهيمي

مبادئ اللّسانيّات البنوية	الطيب دبة
مدارس علم اللّغات	المعتمد بن رشد ومحمد خريص
اللّسانيّات العامّة واللّسانيّات العربية	عبد العزيز خليلي
اللّسانيّات النظرية مدخل نظري	أحمد المتوكل

لقد كانت هذه بعض العناوين التي تناولناها على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر إلاّ أنّ هناك العديد من الكتب اللّسانيّة التي تدخل في مجال الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي وللإجابة عن السؤال الذي سبق و طرحناه وهو هل استطاع الخطاب اللّسانيّ أنّ يحقق هدفه في تعريف اللّسانيّات للقارئ العربي كعلم يهتم بدراسة اللّغة دراسة علمية موضوعية؟ سنحاول تحليل بعض عناوين ومقدمات ومواضيع تلك الخطابات التي تتوفر لدينا وللإشارة فقط هو أنّنا سننحوا منحى حافظ إسماعيل علوي في تحليله لبعض الخطابات التمهيدية في خطابه المتمثل في "اللّسانيّات في الثقافة العربية المعاصرة"[1]

أ. <u>قراءة العناوين:</u>

مما لاشك فيه أنّ العنوان هو الخطوة الأولى التي يمر بها القارئ قبل دخوله إلى قلب الخطاب وهذا ما يؤكده موسى ربابعة في قوله أنّه: "ليس من الشك في أنّ عنوان النص يمثل الإشارة الأولى التي يصادفها المتلقي عندما يبدأ عملية القراءة فقد يصادف عنواناً مباشراً تاريخياً أو عنواناً يحمل اسماً مخزوناً في وعي المتلقي وثقافته، ولكن العنوان يظّل المحور الأساسي الذي ينفتح على النص وينفتح النص عليه، إنّ كثير من العناوين تكون الشرارة الأولى التي تجعل المتلقي يغرى بالقراءة والانجرار، ولكن دلالة العنوان ووظيفته لا تكتشف إلاّ من خلال تمثيلاته في النص."[2] بمعنى أنّ العنوان هو العنصر الأول الذي يواجهه المتلقي فمن خلاله يستطيع أنّ يكون صورة ولو بسيطة عما يحتويه ذلك الخطاب تلك الصورة التي تكون وإمّا محفزاً تدفع القارئ إلى الاطلاع على ما بداخله وإمّا النفور منه

[1] – ينظر حافظ إسماعيل علوي، اللّسانيات في الثّقافة العربية المعاصرة، مرجع سابق.

[2] – موسى ربابعة، جماليات الأسلوب والتلقي دراسة تطبيقية، ط1، دار جرير لنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص160.

والإعراض عنه، كما أنّه من خلال العنوان يمكننا أنّ نتعرف على المنهج الذي اعتمده صاحب الخطاب فمثلاً إذا صوبنا فكرنا اتجاه خطاب حافظ إسماعيل علوي "اللّسانيّات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته "نجد أنّ المنهج الذي اعتمده علوي هو منهج تحليلي نقدي، هذا ونجد كذلك مصطفى غلفان قد اعتمد المنهج النقدي في خطابه "اللّسانيّات العربية الحديثة"

هذا وإنّ القائمة التي تناولناها سابقاً لبعض الخطابات التي تندرج في إطار الخطاب اللّسانيّ التمهيدي فإنّنا نجد أنّ المنهج الذي اعتمده أصحابه هو منهج تعليمي، لأنّ الغاية منه هي غاية تعليمية باعتبار أنّ قارئ اللّسانيّات هو قارئ مبتدئ، وفي مجمل الأحوال طالب الجامعة يسعى لتعرف على مبادئ هذا العلم الحديث، وبهذا كان أمراً ضرورياً على من يؤلف له خطاباً أنّ ينتهج المنهج التعليمي التوضيحي التبسيطي حتى يتسنى لهذا المبتدئ الإحاطة ولو بالقليل على مبادئ هذا العلم.

ب.**بين العنوان وقارئه:**

لما كان العنوان هو أول رسالة تصل إلى القارئ والذي يهدف إلى تبسيط اللّسانيّات وتوضيحها، فإنّ العنوان بمثابة الرسالة اللّغوية التي تؤدي وظيفة أو عدّة وظائف لّغوية والتي حددها ياكيسون في ستة وظائف وهي:

"–الوظيفة التعبيرية.

–الوظيفة الندائية.

– الوظيفة المرجعية أو الإحالية.

–وظيفة إقامة الاتصال(التواصلية)

– وظيفية ما وراء اللّغة.

–الوظيفة الشعرية."[1]

[1]– ينظر عبد الجليل مرتاض، في علم النص والقراءة"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص61/60/59، بتصرف.

فمن المؤكد أنّه هناك بعض الوظائف أقوى من الأخرى والسبب في ذلك راجع إلى اللّغة التي تتدرج من خلالها الرسالة اللّغوية هذا وقد ميز ياكيسون بين نوعين من اللّغة، اللّغة المعيارية واللّغة الأدبية، وفي هذا يقول إبراهيم محمود خليل: "أمّا اهتمامات ياكيسون في وظائف اللّغة فقد اتضحت في بحوثه التي ميز فيها بين نوعين من اللّغات، هما:اللّغة المعيارية، وهي اللّغة المحايدة التي تلفظ أو تكتب بقصد توصيل رسالة(معلومة) معينة حسب مزيتها أنّها تتوخى الدقة والنفعية والبعد عن الجماليات، والنوع الثاني :اللّغة الأدبية (أو الشعرية) ومزيتها عكس السابقة."[1] والخطاب التمهيدي وهو خطاب يقدم للقارئ بلّغة معيارية بعيدة عن اللّغة الأدبية وبالتالي فإنّ حضور الوظيفة الإبلاغية اقوي من حضور الوظيفة البلاغية،أمّا الوظائف الإبلاغية الموجودة في عناوين الخطاب اللّسانيّ التمهيدي فهي الوظيفة التواصلية، الوظيفة التعبيرية، الوظيفة المرجعية أو الإحالية، أمّا الوظائف الأخرى فهي مرتبطة باللّغة الأدبية ويمكننا أنّ نعرض وباختصار الوظائف الموجودة في عناوين الخطاب اللّسانيّ التمهيدي مع إبراز الهدف منه.

1-الوظيفة التواصلية:

تتجلى هذه الوظيفة بصورة واضحة في عناوين الخطابات التمهيدية، فهي بمثابة حلقة وصل بين القارئ والخطاب، وبالتالي فإنّ الهدف منها إثارة القارئ وشد انتباهه و تحفيزه للاطلاع على مضمون الخطاب.

2-الوظيفة التعبيرية:

وهي وظيفة ذات علاقة بالمرسل أو مؤلف الخطاب والذي يختار بدوره من العبارات والألفاظ التي تعمل على تبسيط مبادئ اللّسانيّات الغربية للقارئ المبتدئ الذي يود الانخراط والتبحر في مناهج و نظريات هذا العلم الفتي لذلك نجد أنّ معظم عناوين الخطاب اللّسانيّ التمهيدي تحتوي على عبارات أو كلمات مفتاحيه تعمل على لفت انتباه القارئ وتحفزه على الاطلاع على محتوى الخطاب ومن تلك العبارات المفتاحية

التي نجدها في بعض العناوين نجد مثلا:

[1]- إبراهيم محمد خليل، في اللّسانيّات ونحو النص، ط2، دار المسيرة لنشر والتوزيع والطباعة،الأردن، 2007، ص24.

العنوان	العبارة المفتاحية
مدخل إلى علم اللّغة	مدخل
مقدمة في اللّسانيّات	مقدمة
مبادئ اللّسانيّات	مبادئ
مفاهيم في علم اللّغة	مفاهيم

وغيرها من العبارات المفتاحية التي تهدف إلى التأثير على القارئ وتقديم فكرة عامّة عن مضمون الخطاب بغية إنجاح عملية التواصل.

3-الوظيفة المرجعية الإحالية:

لا تخلو عملية التواصل من هذه الوظيفة والتي تعمل على إبراز موضوع الخطاب وتحديد الغاية من إرساله، وهذه الوظيفة تظهر في عناوين الخطاب اللّساني التمهيدي في عدة أوجه يمكن رصدها كالتالي:

أ. الإحالة على اللّسانيّات بشكل عام:

- مقدمة في اللّسانيّات.
- مدخل إلى الألسنية.
- مبادئ في علم اللّسانيّات الحديثة.

ب.الإحالة إلى اتجاه لّساني معين:

- اللّسانيّات الوظيفية(مدخل نظري) لـ(أحمد متوكل).
- اللّسانيّات التوليدية التحويلية وقواعد اللّغة العربية لـ(ميشال زكريا).

ج.الإحالة على مستوى لغوي معين في اللّسانيّات:

- مدخل إلى علم الدلالة الحديث ل(عبد المجيد جحفة).
- دروس في السيميائيات ل(مبارك حنون).

د.الإحالة على علم من أعلام اللسانيات:

– نظرية تشو مسكي اللّغوية "ليون جونز"ترجمة حلمي خليل.

هـ.الإحالة على علاقة اللّسانيّات بالتراث العربي:

– النظرية اللّسانيّة والبلاغية عند العرب ل(محمد الصغير البناني).

– علم اللّغة بين القديم والحديث ل(عبد الغفار حامد هلال).

وبعد الحديث عن عناوين الخطاب اللّسانيّ التمهيدي نتجه نحو المقدمات والتي هي ثاني عنصر في عملية التواصل.

ت.**مقدمات:**

يمكن القول أنّ مقدمة هي المرآة العاكسة أو اللّسان المعبر عن شخصية المؤلف والموضوع معاً بل"هي الإطلالة الأولى للعمل، تنبئ بشخصية صاحبها وبتكوينه الفكر ومهارته في طرح الموضوعات وأخيراً بالصياغة التي يرتجي أنّ يتفرد بها."[1] ولمّا كانت مقدمة هي الرسالة التي يبعث بها الكاتب إلى المتلقي، فحتماً أنّها ستؤدي وظائف إبلاغية متعددة وهذه الوظائف هي كالتالي:

1–الوظيفة التواصلية:

تعمد مقدمة على لمسة سحرية تسعى من خلالها إلى زيادة الرغبة لدى القارئ في الانخراط مع النص والبحث عن الاستفسارات والحلول التي سبق وأنّ طرحها في مجموعة من الإشكاليات دون أنّ يجيب عنها ومن أمثلة تلك الأسئلة نجد مثلا(كيف يمكن للنحو الواحد أنّ يكون وظيفياً وصورياً في الوقت ذاته؟،)وهذا السؤال نجده في خطاب اللّسانيّات الوظيفية (مدخل نظري لأحمد المتوكل)

كما يمكننا الإشارة إلى أنّه ليست كل مقدمات تعالج إشكاليات بل هناك من مقدمات التي تسعى إلى تحقيق الوظيفة التواصلية من خلال استدعاء القارئ في الانخراط مع النص وقراءته وهذا ما يتأكد من قول ميشال زكريا : "قصدنا دعوة القارئ إلى تذوق العلم الحديث

[1]– أحمد علبي، المنهجية في البحث الأدبي، ط1، دار الفارابي، بيروت، 1999، ص186.

والإلمام به ."[1] فميشال يستدعي القارئ إلى الإلمام بالعلم الحديث وتذوقه من خلال قراءة الخطاب والانغماس في محتواه.

2-الوظيفة التعبيرية(التأثيرية):

لما كان الخطاب التمهيدي يسعى إلى تقديم اللّسانيّات للقارئ المبتدئ في قالب مبسط وميسر فإنّ الوظيفة التأثيرية ركزت عنايتها على تحقيق هذه الغاية وما ذاك إلاّ من خلال التأثير في القارئ ولفت انتباهه ببعض العبارات المختارة تدفعه إلى الاطلاع على محتوى الخطاب، ومن أمثلة ذلك ما نجده في مقدمة الخطاب(توطئة في علم اللّغة) للتهامي الراجحي حين قال "أقدم للقارئ الغربي توطئة تساعده على معرفة اللّغة، وتهيئه لتتبع الخطوات اللاحقة بيسر ومردود كبير."[2] بالإضافة إلى خطاب محمود السعران المتمثل في (علم اللّغة مقدمة للقارئ الغربي) حيث يقول فيه "ولقد حاولت تبسيط حقائق هذا العلم ما وسعني التبسيط، مع حرصي على الدقة والسلامة، حتى يستقل القارئ المبتدئ بتحصيل ما فيه ومدارسته."[3] هذا ونسوق مثال آخر عن خطاب شفيقة العلوي والمتمثل في "محاضرات في المدارس اللّسانيّة المعاصرة " حين قالت عنه أنه"خلاصة قراءاتي،يّضم مجموعة دروس تفيد طلبة ليسانس، إذ تعطيهم نظرة سريعة عميقة وشاملة حول تطور التفكير اللّسانيّ بأسلوب علمي دقيق، يصبو لأنّ يكون واضحاً وظيفياً."[4] تناولت شفيقة العلوي في خطابها ما يحتاجه الطالب الجامعي بأسلوب علمي مبسط.

لقد كانت هذه بعض الأمثلة عن الوظيفة الانفعالية التأثيرية في مقدمات بعض الخطابات التمهيدية حيث يظهر بشكل جلي واضح من خلالها أنّ الغاية التي تسعى إلى تحقيقها هذه الوظيفة هي الغاية التعليمية، وذلك بإغراء القارئ بعبارات وألفاظ تأثيرية يهدف من خلالها إلى تقديم اللّسانيّات في شكل مبسط وواضح.

---

[1]- ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث)،المبادئ والأعلام، ط2،المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع بيروت، 1983، ص50.

[2]- التهامي الهاشمي الراجي، توطئة في علم اللغة، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1977، ص05.

[3]- محمود السعران، علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، مرجع سابق، ص06.

[4]- شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ط1، أبحاث لترجمة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2004، ص06.

3-الوظيفة المرجعية الإحالية:

تسعى هذه الوظيفة كغيرها من الوظائف إلى تحقيق الغاية التعليمية وتظهر هي الأخرى في أوجه عديدة يمكن تحديدها كالتالي:

-الإحالة على اللّسانيّات بصفة عامّة:

ما نجده في خطاب محمود فهمي حجازي "مدخل إلى علم اللّغة" حيث يقول عن هذا الخطاب أنّه:"يضم فصولاً تمهيدية في علم اللّغة."[1]

-الإحالة على اتجاه لّسانيّ معين:

ومثال ذلك ما نجده في خطاب أحمد المتوكل المتمثل في(اللّسانيّات الوظيفية مدخل نظري) وفيه يقول عن خطابه هذا: "عزمت على تأليف هذا المدخل الذي أتوخى منه تمكين القارئ العربي من تعرف المبادئ النظرية والمنهجية الثاوية خلف الدراسة الوظيفية بوجه عام والوقوف على عملية "النمذجة"لهذه المبادئ."[2].

-الإحالة على مستوى لّغوي معين في اللّسانيّات:

ومثال ذلك ما نجده في خطاب عبد القادر عبد الجليل والمتمثل في (الأصوات اللّغوية)وفيه يقول عن خطابه هذا أنّه يمثل:"الدراسة الحالية، السلسلة اللّغوية رقم (1)، التي ارتأيت أنّ أضعها بين يدي طلاب الدراسات الأولية في كليتي العلوم التربوية والآداب وطلبة الدراسات العليا، آملاً الإفادة منها في ميدان الدرس الصوتي العربي القديم والحديث."[3]

وفي غضون الحديث عن خطاب العناوين وخطاب مقدمات ننتقل إلى خطاب المحتوى والذي نقصد منه موضوع الخطاب اللّسانيّ التمهيدي، والذي يتناول معلومات ومعارف تعمل على تزويد ذهن القارئ المبتدئ بطاقة معرفية تمكنه من الإحاطة بمبادئ اللّسانيّات الحديثة، ودراستها دراسة عميقة يتمكن فيما بعد من تطوير الدرس اللّسانيّ العربي.

---

[1]- محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ط2، دار الثقافة، القاهرة، 1978، ص07.

[2]- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، ط2، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2010، ص07، 08.

[3]- عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ط1، دار صفاء لنشر والتوزيع، عمان، 2010، ص16.

ث- **محتوى الخطاب اللّسانيّ التمهيدي:**

من البديهي أنّ مضمون الخطاب اللّسانيّ التمهيدي لا يخرج عن نطاق الحديث عن اللّسانيّات الحديثة ، فكل خطاب لّسانيّ تمهيدي يعمل على معالجة اللّسانيّات من كل النواحي من حيث تعريفها ونشأتها والتعريف بمبادئها ومناهجها ونظرياتها ومدارسها والتعريف بأعلامها وجهودهم العلمية.

غير أنّ المُطلع على الخطابات التمهيديّة العربية يلمح نوعاً من الفشل وعدم الإصابة في تحديد مواضيع اللّسانيّات ومناهجها من حيث الخلط بينها وبين مواضيع فقه اللّغة ومناهجه.

ومثال ذلك الخلط الذي وقع فيه عبد الواحد وافي بين (علم اللّغة)و (فقه اللّغة)وقد علق حلمي خليل عن هذين الخطابين حيث قال "وواضح من هذا التقييم التداخل الشديد بين علم اللّغة من حيث هو الدراسة العلمية الوصفية للّغة وبين فقه اللّغة التاريخي المقارن."[1] ويقول في موضع آخر إنّ:"هذا يدل على أنّ علي عبد الواحد وافي كان يفهم في مصطلح علم اللّغة أنّه يختص بالدراسة التاريخية المقارنة، ويبدو ذلك واضحاً من موضوعات."[2] خطابه المتمثل في علم اللّغة وقد يرجع ذلك كما قال مصطفى غلفان إلى "حداثة الفكر اللّسانيّ في الثقافة العربية تأليفاً وترجمة."[3] ولكن هذه ليس علّة على من جاء بعده وهذا و بعد أنّ قطع الدرس اللّسانيّ العربي شوطاً من الزمن لم يبقى هناك سبباً مقنعاً على الخلط نفسه في خطاب المتأخرين أمثال نور الهدى لوشن في خطابها "مباحث في علم اللّغة ومناهج البحث "حيث وقعت هي الأخرى في الخلط بين علم اللّغة وفقه اللّغة فجعلت مبحث نشأة اللّغة ومبحث تصنيف اللّغات ومبحث اللّغة والفكر ومبحث اللّغة والتطور من مباحث علم اللّغة في حين أنّها تندرج في ثنايا فقه اللّغة حيث تقول:"أطرح في هذا الكتاب قضايا لّغوية تشكل

[1]- حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، مرجع سابق، ص74.

[2]- المرجع نفسه، ص74.

[3]- مصطفى غلفان، اللّسانيّات في الثّقافة العربية الحديثة، مرجع سابق، ص109.

جوهر علم اللّغة."[1] هذا ويمكننا الإشارة إلى أنّ هناك بعض الخطابات التمهيدية التي تدفع بالقارئ إلى المقارنة بين الدرس اللّغوي الحديث والدرس اللّغوي القديم وما ذاك إلاّ لإثبات اللبنة الجوهرية للقيمة العلمية والمعرفية للتراث اللّغوي القديم وتحديد الاختلافات المنهجية والاصطلاحية لكلتا الدرسين وهذا ما يتبلور في خطاب حلمي خليل "مقدمة لدراسة فقه اللّغة"حيث لجأ إلى تحديد مصطلح علم اللّغة ومصطلح فقه اللّغة عن كلٍ من العرب والأوروبيّين وضبط الفروق المنهجية والعلمية بينهما، أمّا خطاب أحمد المتوكل والمتمثل في "اللّسانيّات الوظيفية مدخل نظري "فقد تناول فيه الفكر الوظيفي والتراث اللّغوي محاولاً في ذلك الربط بينهما سعياً منه لإثبات أنّ الفكر الفطر الوظيفي ليس بعيدا عن الدرس اللّغوي القديم، وهذا ما يدفع بالقارئ إلى التخلي عن اللّسانيّات والاكتفاء بالتراث اللّغوي إذا كان ملماً به، والعكس صحيح فقد يستغني عن التراث اللّغوي إذا كان غير ملماً به ويكتفي باللّسانيّات ما دامت تلم بالقديم والحديث معاً، وبهذا يقول في خطابه هذا :"بهذا المعنى يمكن أنّ نقول أنّ النحو الذي يدعو إليه الجرجاني (ومن حذا حذوه من البلاغيين والأصوليين نحو وظيفي) باعتبار قيامه على ضرورة الربط بين بنية اللّغة والوظيفة التي تأديتها في التواصل."[2] بمعنى أنّ المتوكل لا يميز بين نحو القدامى العرب والنحو الوظيفي الحديث.

ما يمكننا قوله في الأخير أنّ الوقت لا يسعنا للإلمام بكل الخطابات اللّسانيّة التمهيدية العربية بالوصف والتحليل غير أنّه يمكننا أنّ نلمح إلى أنّ هناك بعض الدراسات قد ظهرت على أيدي لّسانيّين مغاربة قد سعوا من خلالها إلى ضبط الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي وتحليله تحليلاً نقدياً مركزين اهتمامهم على المضمون والمنهج والغاية وذلك للكشف عن مدى قدرتها على النهوض بالدرس اللّسانيّ العربي وإثرائه، ومن بين تلك الدراسات نجد خطاب حافظ إسماعيل علوي والمتمثل في (اللّسانيّات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته) وكذا ما نجده في خطاب مصطفى غلفان (اللّسانيّات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية)

---

[1]- نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، دار الفتح للتجليد الفني، الإسكندرية ،2008، ص10.

[2]- أحمد المتوكل، اللّسانيّات الوظيفية مدخل نظري، مرجع سابق، ص97.

2-تقييم الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي:

لما كان من المفروض على الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي أن يأخذ أمثلته من منبعه الأم اللّغة العربية بغرض تقريب اللّسانيّات من القارئ العربي وتبسيطها له أخذ ينهل أمثلته من اللّغات الأجنبية جاعلاً إياها مادة للبحث والتطبيق هذا ما صعب اللّسانيّات على القارئ العربي وأدخله في بوتقة الإعراض والنفور منها وفي هذا يقول مصطفى غلفان على أنّ الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي يكثر فيه :"المثال التطبيقي المأخوذ مباشرة عن اللّغات الأجنبية خاصة اللّغة الانجليزية ويعطي عدم انشغال الكتابة التمهيديّة بأمثلة من اللّغة العربية الانطباع لدى القارئ عامّة، والمبتدئ على وجه الخصوص، أنّ هذه المبادئ المعروضة عليه لا تمس اللّغة العربية في شيء ولا تنطبق عليها وبالتالي لا تهمه ."[1] ويؤكد حافظ إسماعيل علوي على أنّ معظم الخطابات اللّسانيّة التمهيدية "لا تلتزم بتعهداتها مع قرائها فما تصرح به عناوينها ومقدماتها شيء، وما تقدمه محتوياتها يبقى شيء آخر وهذا يفسر إشكالات البحث اللّسانيّ."[2] يتضح من قول حافظ إسماعيل علوي أنّ الخطابات اللّسانيّة التمهيديّة العربية تمتاز بالفشل والضعف والتقصير وعدم قدرتها على تعريف القارئ باللّسانيّات مما أدى إلى تدهور الدرس اللّسانيّ العربي.

ما يسعنا قوله في الأخير إجابةً عن السؤال الذي طرحناه سابقا هل استطاع الخطاب اللّسانيّ التمهيدي أنّ يحقق هدفه في تبسيط اللّسانيّات وتسهيلها للقارئ العربي؟ أم لا، هو أنّه لم ينجح هذا الأخير بالقدر الكافي في تعريف القارئ العربي على اللّسانيّات الغربية مما انعكس ذلك سلباً على الدرس اللّسانيّ العربي ولّعل ذلك راجع إلى كون هذا العلم، علم غربي جديد أو إلى أنّ ذهن القارئ العربي مشحون بطاقة علمية معرفية منبعها التراث اللّغوي القديم أو وإلى عجز الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي في تقديم اللّسانيّات العامّة وفق منهج تعليمي تبسيطي وإهماله للقضية التي كُلف بها وهي تأسيس درس لّسانيّ عربي يتخذ من اللّغة العربية مادة للتنظير والتطبيق، ولكن يمكننا الإشارة إلى أنّ هناك بعض الخطابات

[1]- مصطفى غلفان، اللّسانيّات في الثّقافة العربية الحديثة، مرجع سابق، ص120.

[2]- حافظ إسماعيل علوي، اللّسانيّات في الثقافة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص128.

التمهيدية التي نجحت إلى حدٍ ما في تعريف اللّسانيّات بالقارئ العربي ردّ حافظ إسماعيل علوي نجاحها إلى جملة من الأسباب في قوله:

– مراعاتها لمستوى القارئ المستهدف، ولذلك لم تحشره في قضايا هو غنى عنها كما لاحظنا في مؤلفات تمهيدية سابقة.

–تركيزها على القضايا الأساسية التي من شانها أنّ تساعد القارئ على الفهم.

–الإكثار من الأمثلة التوضيحية التي تقدم المحتوى بالشكل المطلوب..."[1]وغيرها من الأسباب التي مهدت لنجاح بعض من هذه الخطابات اللّسانيّة التمهيدية العربية.

[1]– حافظ إسماعيل علوي، اللّسانيّات في الثقافة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص128، الهامش.

الفصل التطبيقي: دراسة وصفية تحليلية للخطاب اللساني التمهيدي العربي لمحمود السعران ومصطفى غلفان

المبحث الأول: الخطاب اللساني التمهيدي لمحمود السعران

المبحث الثاني: الخطاب اللساني التمهيدي لمصطفى غلفان التمهيدي العربي

المبحث الخطاب اللّساني التّمهيدي لمحمود السعران

تمهيد:

لقد تعددت وتنوعت المؤلفات العربية التي تناولت اللّسانيّات الحديثة والتي انبرت عليها بالتّنظير والتّبسيط بغية تقريبها من القارئ العربي ونزع رداء الغربة عنها، وقد كان التعريف بهذا العلم الحديث في بداياته الأولى غامضاً وغير واضح لما فيه من خلط بين فروعه وتخصصاته والخلط بينه وبين العلوم التي تهتم بدراسة اللّغة إمّا دراسة وصفية أو دراسة تاريخية اجتماعية وحتى الفلسفية أو النفسية .

وهذا راجع كما يقول مصطفى غلفان في خطابه المتمثل في(اللّسانيّات العربية المعاصرة) إلى :"حداثة الفكر اللّساني في الثقافة العربية تأليفاً وترجمة."[1] فبالرغم من مرور أكثر من نصف قرن على دخول اللّسانيّات إلى الثقافة العربية إلاّ أنّ إصرار اللسانيون العرب لازال مشحوناً بالتّنظير للّسانيّات والتعريف بمفاهيم وتبسيط أسسها المنهجية ولا زال من حين إلى آخر يظهر خطاب لّسانيّ تمهيدي لا يكاد يختلف عن سابقه في هذا المجال وكأنّ الذين عرفوه من قبل لم يعرفوه بالشكل المطلوب .

ونحن في هذا الفصل سنركز اهتمامنا على عالمين من أعلام اللّسانيّات العربية وهما محمود السعران و خطابه المتمثل في (علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي) باعتباره من الأوائل الذين سارعوا في التّعريف باللّسانيّات الغربية، و مصطفى غلفان و خطابه المتمثل في(في اللّسانيّات العامّة) باعتباره من المتأخرين الذين يحاولون التعريف باللّسانيّات الحديثة، وذلك بهدف تحليل الخطابين وتقريبهما من بعضهما لاستخلاص أهم مميزاتهما العلمية والمنهجية.

[1] – مصطفى غلفان،اللّسانيّات العربية المعاصرة،مرجع سابق،ص109.

1- التعريف بمحمود السعران:

يعد محمود السعران من أبرز اللّسانيّين في الوطن العربي والذين ساهموا في نقل اللّسانيّات الغربية إلى الثقافة العربية وبناء درس لّسانيّ عربي. كما عمل على تقديم اللّسانيّات للقارئ العربي في قالب تعليمي مبسط وميسر يمكن لهذه الأخيرة أنّ تحقق ماهيتها على أرضية الثقافة العربية.

لقد كان "محمود حسن عطية السعران واحد من العلماء الذين أوقفوا حياتهم على دراسة اللّغة، ونشر المعرفة الموضوعية، ولد في 07 مايو1922 وتحصل على درجة ليسانس الممتازة من الجامعة الإسكندرية سنة1943، وفي سنة 1947 تحصل على درجة الماجستير في الأدب من قسم اللّغة العربية كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، وفي سنة 1951 تحصل على الدكتوراه في اللّسانيّات من جامعة لندن ببحث عنوانه "دراسة نقدية للملاحظات الصوتية للنحاة العرب ...تدرج في وظائف أعضاء هيئة التدريس لكلية الآداب بجامعة الإسكندرية حتى توفي في 21 ديسمبر 1963 بالإسكندرية تاركاً من الأعمال العلمية المنشورة وغير المنشورة ."[1]

كما عرف محمود السعران في الوطن العربي من خلال محاضراته ومداخلاته في الندوات والملتقيات الدولية وكذا مؤلفاته العديدة باللّغتين العربية والفرنسية والتي من بينها:

"- علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، الإسكندرية.

-اللّغة والمجتمع، رأي ومنهج، دار المعارف، الإسكندرية

- بحث اصطلاح الكتابة العربية

- بحث في علم الأصوات

كما ساهم في إثراء المكتبة العربية بترجمة العديد من المؤلفات العربية مثل:

1- الاتجاهات في علم اللّغة للمؤلف سومر فيل.

2- كتاب الشعر الإنجليزي الحديث من حيث الشكل ، تأليف هاربرترايد.

---

[1]- سعاد بنت سعيد الديغشية، أثر الدراسات اللغوية الغربية في الدكتور محمود السعران، جامع البحوث والرسائل العلمية الموقع WWW .B7OH.COM، ص4.

3-مقدمة ديوان طرفة بن العبد للمستشرق ماكس سليفون.

4- مقدمة ديوان عبد بن الأبرص للمستشرق شارلز لاسل.

5- مقال عن دراسة الشعر من تأليف ماتيوز أرنولد.

6- الفصلان الأول والثاني من كتاب الوهم أو الواقع دراسة في أصول الشعر لكريستوف كورول

7- بحث لغة الحيوان واللّغة الإنسانية، تأليف بنفنيست."[1]

لقد كان محمود السعران من بين العلماء والباحثين الذين كرسوا حياتهم لدراسة اللّغة والغوص في خلاياها الخفية في سبيل الكشف عن ماهيتها و أسرارها والقضايا المتعلقة بها، فساهم "في نشر المعرفة العلمية والموضوعية."[2] المرتبطة والمتعلقة بها.

2- تحليل الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي لمحمود السعران:

كغيره من اللّسانيّين العرب اعتمد محمود السعران على الخطاب اللّسانيّ التمهيدي مساهمة منه في تعريف القارئ العربي بذلك العلم الغريب على الثقافة العربية، وقد قدم مجموعة من المؤلفات الهامة التي كان من بينها كما ذكرنا آنفاً خطابه اللّسانيّ المتمثل في (علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي) والذي سنحاول من خلاله استخلاص أهم مميزاته العلمية محاولين في ذلك الإجابة عن السؤال التالي: هل استطاع محمود السعران من خلال خطابه التمهيدي (علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي) أنّ يقرب اللّسانيات الغربية من القارئ العربي؟.

يعتبر خطاب (علم اللّغة) من بين الخطابات التي أنتجها محمود السعران (1962) والذي حاول من خلاله أنّ يقرب اللّسانيّات إلى القارئ العربي وفق منهج تعليمي ميسّر ومبسط بشيء من التفصيل والتدقيق والإكثار من الأمثلة والشواهد وهذا ما نكتشفه من قوله والذي صرح فيه بقوله: "لما كنت أتوجه بكتابي هذا إلى القارئ العربي فصلت الحديث في موضوعات لا يفصل فيها الغربيين، وأوجزت حيث لا يوجزون وأكثرت من الأمثلة والشواهد

---

[1]- سعاد بنت سعيد الديغشية، أثر الدراسات اللغوية الغربية في الدكتور محمود السعران، مرجع سابق، ص04.

[2]-حلمي خليل، دراسة تحليلية لكتاب علم اللغة لمحمود السعران، برنامج المكتبة الشاملة،www.shamela.ws// :httep ص1/5.

في مواضع، أقللت منها في آخر، وكنت لا أدع مناسبة في الأغلب الأعم، دون تطبيق ما أقرر من الكلام العربي بياناً لصلاحية اتخاذ الأسس والتصورات الجديدة عند دراسته، ولمدى ما تقدمه من نفع لا تنهض بمثله التصورات اللّغوية العربية القديمة وحدها."[1] وقد أتبع هذا القول بقول آخر حين قال: "أنا لم ألتزم في جملة ما عرضت مذهباً بعينه في كل أصوله وفروعه من هذا الدرس اللّغوي المتعددة، بل ركنت إلى التعريف بالأصول العامّة التي أرتضيها والتي قل أنّ يختلف فيها أهل هذا العلم مع بيان مصادرها ومذاهب أصحابها في معظم الأحوال مع الإشارة في الوقت نفسه إلى الآراء المخالفة الصادرة عن مذاهب أخرى حتى يكون القارئ على بينة من المذاهب اللّغوية المختلفة، وعلى دراية بالفلسفة التي قامت عليها، وعلى علم بأهم المؤلفات فيها، فلا يضل الطريق في زحمها، عندما يتاح له الاتصال بشيء منها."[2] فقد سعى محمود السعران كما يقول حلمي خليل إلى "تقديم أصول هذا العلم ومبادئه بصورة واضحة وبسيطة لا تخل بالموضوع و علميته ولهذا حرص منذ بداية الكتاب على وضع الأصول في إطارها التاريخي جنباً إلى جنب مع طرق التحليل اللّغوي التي استقر عليها الفكر اللّغوي آنذاك."[3] ليدخل بذلك هذا الخطاب – علم اللّغة – ضمن الخطابات اللّسانيّة التمهيديّة التي حاول أصحابها أن يؤسسوا لدرس لّسانيّ عربي.

وفيما يلي سنحاول تحليل الخطاب الذي بين أيدينا(علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي) مركزين بذلك على الموضوع والمنهج والغاية متبعين المنهج الذي سارت عليه هبة خياري في خطابها(خصائص الخطاب اللّساني).

أ/– من ناحية الموضوع:

مما لاشك فيه أنّ اللّسانيّات هي موضوع الخطاب اللّسانيّ التمهيديّ، والذي سعى بدوره إلى بسط مبادئها النظرية والمنهجية والتعريف بروادها ومؤسسيها وقد سبق تعريفنا للخطاب اللّسانيّ التمهيديّ وكان ذلك في الفصل الذي سبق هذا الفصل.

---

[1]– محمود السعران، علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، مرجع سابق، ص07.

[2]– المرجع نفسه، ص07.

[3]– حلمي خليل، دراسة تحليلية لكتاب علم اللّغة لمحمود السعران، مرجع سابق، ص 1/5

أمّا اللّسانيّات فهي تتخذ من اللّغة مادة لها فتدرسها في ذاتها ولذاتها دون أنّ تفرق بين لّغة ولّغة أخرى، فتسعى إلى درس وتحليل مستوياتها ومعالجة القضايا التي ترتبط بها بغية الكشف عن سبلها العلمية والمعرفية وما ذاك إلاّ سعياً منها في جعل هذه – اللّغة– تواكب الحضارة الإنسانية.

وعليه فقد تبنى الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي اللّسانيّات كمحور أساسي انطلق منه بحثه، ولكن على اختلاف في معالجة الأفكار وطرحها، وكما رأينا سابقا أنّه لّف المحاولات الأولى بعض الغموض في موضوع اللّسانيّات لما شهده من خلط بين تحديد مفهوم (علم اللّغة) ومفهوم (فقه اللّغة)، فقد سبق وأنّ رأينا الخلط بين ما يدخل ضمن اللّسانيّات كدراسة علمية للّغة وبين تخصصات أخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع، كمؤلفات أحمد وافي وإبراهيم أنيس وغيرهم من اللّسانيّين العرب الذين وضعوا اللبنات الأولى في طرح النشاط اللّسانيّ العربي وفي هذا يقول محمود السعران عن الغموض والخلط الذي لّف تلقي اللّسانيّات في الثقافة العربية: "أنّ هذه الدراسة في البلاد الناطقة بالعربية لا تزال غريبة على الجمهور المتخصصين في المسائل اللّغوية، المنقطعين لها، المنصرفين إليها ."[1] لقد أطلق محمود السعران كلامه هذا في خطابه المتمثل في (علم اللّغة) والذي اندرج ضمن الخطابات اللّسانيّة الأولى التي سعت إلى تنشيط الدرس اللّسانيّ العربي.

بالرغم من البدايات المتعثرة التي عاشها الدرس اللّساني العربي في بداياته الأولى إلاّ أنّه هنالك خطابات لّسانيّة تمهيديّة عربية استطاعت إلى حدّ ما أن تصل إلى هدفها في تعريف القارئ العربي باللّسانيّات الحديثة والتي ركزت كما ذكرنا آنفا في الفصل الثاني من هذا البحث على الموضوع والمنهج والغاية مركزة بذلك على القضايا الأساسية في اللّسانيّات متبعين نشاطهم هذا بالأمثلة التوضيحية التي من شأنها أنّ تساعد القارئ العربي على الفهم و الاستيعاب.

وبعد هذه المقدمة عن تحديد موضوع اللّسانيّات في الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي نعود إلى الخطاب اللّسانيّ التمهيدي لمحمود السعران طارحين بذلك السؤال التالي: ما هو

[1]– محمود السعران، علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، مرجع سابق، ص21.

الموضوع الذي عالجه محمود السعران في خطابه التمهيدي هذا والمتمثل في (علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي)؟.

لقد كان محمود السعران "من أوائل علماء اللّغة العرب في العصر الحديث الذين استعملوا مصطلح البنيةstructuralism وتحليل البنية عنده يبدأ من المستوى الصوتيphonetics."[1] هذا كان كإشارة أولية فقط عن محمود السعران إذ أنّه لا يمكننا أنّ نحدد الموضوع الذي عالجه الدكتور في خطابه "علم اللّغة "دون الحديث عن المحتوى أو مضمون الخطاب في حدّ ذاته.

فقد مهد محمود السعران لخطابه بمقدمة طويلة ل(علم اللّغة) وأصوله العامّة في شكل مبسط ومُوضح وهذا ما أكده في قوله: "لقد مهدت لكتابي هذا بمقدمة طويلة شيئا ما تهيئه لذهن القارئ الشادي لتلقي أصول هذا العلم بأيسر سبيل وأدنى مجهود."[2] وقد كانت من بين هذه الأصول تركيزه على الصورة العلمية لعلم اللّغة و كما يقول حلمي خليل أنّ"الفضل يرجع إليه في شيوعها وتوضيحها."[3]، إذ أنّ علم اللّغة عند محمود السعران " منهاج جديد يسعى إلى فهم اللّغة ودراستها."[4] دراسة علمية موضوعية بغية الكشف عن جوهرها وكنهها وحقيقة وجودها وهذا ما أكد عليه حلمي خليل في حديثه عن علم اللّغة عند محمود السعران في قوله: "فعلم اللّغة عنده موضوع محدد يدرس اللّغة دراسة علمية موضوعية، أي يدرسها بغرض الدراسة ذاتها التي تسعى إلى الكشف عن حقيقتها."[5] وفق منهج علمي سليم، فهذه الدراسة اللّغوية الجديدة للّغة كما يقول محمود السعران: "لها موضوعها الخاص المستقل الجدير بالبحث اللّغة وهذه الدراسة تقوم على مناهج علمية سليمة."[6] إنّ علم اللّغة لا يسعى

---

[1]– حلمي خليل، دراسة تحليلية لكتاب علم اللّغة لمحمود السعران، مرجع سابق، ص1/8.

[2]– محمود السعران، علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، مرجع سابق، ص06.

[3]– حلمي خليل، المرجع نفسه، ص1/7.

[4]– محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، مرجع سابق، ص22.

[5]– المرجع نفسه، ص1/7.

[6]– محمود السعران ، المرجع نفسه، ص 14.

في بحثه إلى"إجادة عدد كبير من اللّغات ."[1] ولا حتى "وضع قواعد تميز صحيح الكلام من خطئه وجيده من رديئه."[2] وإنّما يسعى إلى دراسة اللّغة في ذاتها ولذاتها فيدرسها دراسة علمية مبدؤها مبدأ علمي دقيق.

حتى و إنّ تباين المحدثون من أصحاب هذه النظرية الجديدة في تعريف اللّغة وما تبعها من جملة وكلام إلاّ أنّهم يشتركون في فكرة واحدة موحدة بينهما ألاّ وهي فكرة علمية اللّغة في قوله :"لكنّهم يتفقون جميعا في أنّ دراستهم الجديدة علمية، إن ما بينهم من اختلاف وافتراق وتباين هو ما ينشأ بين أصحاب أي دراسة، لا نتردد في إضفاء صفة العلم عليها."[3] فلا محال عند انتهاء علم اللّغة – في نظره– من بناء شكله وتحديد مساره من أنّ يكون مهداً لظهور معارف وحقائق جديدة لم يعهدها أحد من قبل، وما ذاك إلاّ بتضافر الجهود وتوحيدها وفق مبدأ واحد وفي هذا يقول :"إنّ الجهود القريبة القادمة سترسي قواعد الكثير من أسسه ووسائله ونتائجه، وهذا يحتم على الباحثين في هذا الميدان الاتصال أولاً فأولاً بما يجدّ فيه."[4] لتكون هذه الدراسة الجديدة للّغة مفتاحاً للعبور إلى معارف جديدة.

وقد نحونا في تحليلنا لمحتوى خطاب محمود السعران منحى سعاد الديغيشية في تحليلها له هي أيضا.

لقد تحدث محمود السعران عن حال علم اللّغة في البلاد العربية وما تلقاه من تصدي وإهمال باعتباره علم غريب لا يخدم الثقافة العربية، كما أكد أنّ هذه الدراسة اللّغوية الجديدة قد حلت محل الدراسات والفلسفات اللّغوية القديمة باعتبارها دراسة جديدة تساهم في فهم اللّغة وإدراك حقيقتها بأدق الوسائل وأبسطها، كما تحدث عن الصعوبات التي واجهها علم اللّغة في مساره وهو يشق طريقه إلى الساحة العربية بداية بإشكالية ترجمة المصطلح من اللّغة الأوروبية إلى اللّغة العربية، إلى الأوهام التي تسيطر على ذهن القارئ العربي عل أساس أنّ اللّغة دراستها قد اكتملت على يد القدامى وأنّهم لم يتركوا باباً منها إلاّ واقفلوه، ومن بين

---

[1]– محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي،مرجع سابق ، ص18.

[2]– المرجع نفسه ، ص17.

[3]– المرجع نفسه، ص14، 15 .

[4]– المرجع نفسه ، ص15.

الصعوبات التي واجهت(علم اللغة) عدم تميزنا بين الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية للّغة إضافة إلى نضرة التعالي والاستعلاء للّغة التي تحيل بنا إلى أنّها لم تتغير منذ أنّ نزل القرآن الكريم إلاّ في جوانب قليلة منها.[1]

هذا و قد قسم خطابه هذا إلى خمسة أبواب، فكان الباب الأول[2] تحت عنوان (علم اللّغة وموضوعه وماهيته) وفيه أكد أنّ علم اللّغة يتخذ من اللّغة موضوعاً له فـ"يدرسها دراسة موضوعية تستهدف الكشف عن حقيقتها."[3] فلا يسعى " إلى ترقيتها، أو إلى تصحيح جوانب منها أو تعديل آخر."[4] و بالتالي فإنّ علم اللّغة يسعى إلى دراسة اللّغة دراسة علمية موضوعية مبتعداً في ذلك كل البعد عن دراسة الجوانب التي تتعلق بها.

كما اعتبر أنّ اللّغة نظام من العلامات الاصطلاحية فعرفها بقوله أنّها مجموعة من: "الأصوات التي تؤلف بطرائق اصطلاحية في كلمات ذات دلالة اصطلاحية."[5] مشيراً إلى اشتراكها من حيث طبيعة الأصل مع أنظمة أخرى سمعية كانت أم بصرية هته الأخيرة التي ينطبق عليها ما ينطبق على اللّغة كونها نظام من العلامات والرموز الاصطلاحية.

كما أكّد بعد ذلك عن استعانة {علم اللّغة} بعلوم أخرى – كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الأجناس البشرية و غيرها من العلوم الأخرى – في دراسته للّغة كونها ظاهرة اجتماعية، ثم انتقل للإشارة إلى ضرورة إقامة فلسفة لّغوية لدراسة الظواهر اللّغوية في قوله: "لابد من فلسفة عامّة تقوم على دراسة اللّغة ونقصد بالفلسفة هنا مجموعة من المبادئ والأصول والأسس."[6] بحيث أنّ هذه الفلسفة تسعى إلى دراسة اللّغة من مختلف جوانبها، من من

---

[1]– ينظر محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، مرجع سابق، ص 04 إلى21، بتصرف.

[2]– ينظر المرجع نفسه، ص47 وما بعدها، بتصرف.

[3]– المرجع نفسه، ص51.

[4]– المرجع نفسه ، ص51.

[5]– المرجع نفسه، ص63.

[6]– المرجع نفسه، ص77.

حيث الماهية وكيفية الاستعمال ودواعي الاستعمال، كما أكّد أنّ الدراسة اللّغوية الحديثة تسعى إلى التميز بين الدراسة التاريخية والدراسة الوصفية للّغة، مشيراً في ذلك إلى أنّ علم اللّغة علم انعكاسي استنباطي وأنّه يواجه من صعوبات لا تواجهها علوم أخرى وما ذاك إلاّ في كونه يدرس اللّغة باللّغة .

أمّا الباب الثاني[1] فقد جاء بعنوان(علم الأصوات اللّغوية) والذي تحدث فيه عن تاريخي تطور علم الأصوات بداية من اليونان و الرومان و الهنود و العرب[2] وصولاً إلى "علم الأصوات في صورته الحديثة "[3]، وقد عرف علم الأصوات على أنّه العلم الذي يتخذ من الحدث الكلامي موضوعاً له محللاً بذاك التسلسل الكلامي دون الإشارة إلى معناه.

ولما كان علم الأصوات العلم الذي يحلل الحدث الكلامي تحليلاً علمياً دقيقاً، فإنّه يلجأ في ذلك إلى مجموعة من الوسائل والأجهزة الآلية لتحقيق هذا الغرض فكان من بينها ما سماه بـ"الدراسة الصوتية التجريبية" أو الدراسة الصوتية الآلية"[4] والتي نستطيع من خلالها الاطلاع على أعضاء النطق وهي تؤدي وظيفتها الصوتية، ومن بينها أيضاً ما سماه بـ "الكتابة الصوتية "[5] ومبدؤها العام هو الاكتفاء باستعمال الرموز لتمثيل الفونيمات، هذا وقد أكّد على الدور الفعال الذي يؤديه علم الأصوات باعتباره فرعاً من علم اللّغة في كيفية إجادة النطق باللّغة الأصلية وتعليم النطق باللّغة الأجنبية، كما استطاع محمود السعران بعد وصفه لأعضاء النطق الإنساني أنّ يتوصل إلى أنّ هذا الجهاز النطقي قادر على أنّ يفرز عدد كبير من الأصوات الكلامية فتتشكل هي الأخرى في شكل عبارات و مصطلحات لتؤدي الوظيفة التي تقوم بها اللّغة، وقد قسم محمود السعران وفق أسس علمية دقيقة أصوات اللّغة العربية إلى قسمين أصوات الصائتة وأصوات الصامتة، فعرف الصوائت على أنّه" المجهور الذي لا يعترض مجرى الهواء عند نطقه في الحلق والفم اعتراضاً تاماً أو

---

[1]- ينظر محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي،مرجع سابق ، ص47 وما بعدها، بتصرف.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص87، بتصرف.

[3]- المرجع نفسه ، ص98.

[4]- المرجع نفسه،ص103.

[5]- المرجع نفسه، ص113.

ناقصاً محدثاَ لاحتكاك مسموع وأنّ كل الأصوات التي يعترض فيها مجرى الهواء في الفم سواء كانت مجهورة أو مهموسة تكون صامتة."[1] وبالتالي فإنّ الأصوات الكلامية تنقسم إلى أصوات مجهورة وأصوات مجهورة ومهموسة، هذا وقد تصدى للفصل الذي دعت إليه « مدرسة براغ » حين اعتبرت (phonetics) علم طبيعي(phonology)علم لّغوي وأكّد أنّ "دراسة الظواهر الصوتية والفسيولوجية الخاص بالكلام الإنساني ينبغي أنّ تسير موازية للدراسة الفونولوجية."[2] بحيث لا يكون أحدهما منفصلا عن الأخر.

أمّا الباب الثالث[3] فقد جاء تحت عنوان(النحو) والذي أكّد فيه أنّه لأي لّغة من اللّغات أسلوبها الخاص في عرض وتقديم المعاني حيث تبقى من مهمة الكلام فيها هو إظهارها في شكل قوالب و صور لفظية متسلسلة، هذا وتقوم دراسة اللّغات عند الغرب وفق عنصرين أساسيين ألا وهما المورفولوجيا والنظّم، وقبل شروع محمود السعران في تعريف المورفولوجيا أشار إلى التحليل الفونولوجي والتحليل النحوي، وفيها أكّد أنّ التحليل الفونولوجي في دراسة أي لّغة من اللّغات يكون أسبق من التحليل النحوي لها، فاعتبر أنّ "الفونولوجيا الحلقة الوسطى بين مادة النطق ...وبين التحليل النحوي."[4] هذا وقد أكّد أنّ الدراسة" الفونولوجية" ترتكز في دراستها على (الفونيم) و(المقطع) أمّا الدراسة (النحوية) فترتكز هي الأخرى على (المورفيم) و(الكلمة)، لينتقل بعدها إلى تعريف (المورفولوجيا) بأنّها العلم الذي يهتم بدراسة المورفيم وقد حدّد الأقسام الشكلية الخاصة بالمورفيم في ثلاثة أقسام وكانت كالأتي:

"– الأول وهو الأغلب، أنّ يكون المورفيم عنصر، وهذا العنصر الصوتي قد يكون صوتاً واحداً أو مقطع أو عدة مقاطع .

– والثاني أنّ يتكون المورفيم من طبيعة العناصر الصوتية المعبرة من المعنى أو التصور أو الماهية أو من ترتيبها .

---

[1]– محمود السعران، علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، مرجع سابق ، ص149.

[2]– المرجع نفسه ، ص200.

[3]– ينظر المرجع نفسه ، ص83 وما بعدها، بتصرف.

[4]– المرجع نفسه، ص210.

– والقسم الثالث من المورفيم هو الوضع الذي يحتله في الجملة كل عنصر من العناصر الدالة على المعنى."[1] فعالج كل قسم من هذه الأقسام و بشكل مفصل بعد تحديده لها، ثم ينتقل بعدها إلى تعريف (النظّم) أو (التنظيم) بأنّه العلم الذي يهتم بدراسة الطرق التي تتألف بها الجمل أو العبارات سواء أن كانت بسيطة أم المركبة.

أمّا الباب الرابع[2] فقد جاء تحت عنوان(علم الدلالة أو دراسة المعنى) وفيه أكّد أنّ علم الدلالة يندرج تحت علم اللّغة و أنّه غاية الدراسات النحوية والصوتية وحتى الفونولوجية. كما أنّه يحتل الصدارة في الدراسات اللّغوية من حيث القيمة والمكانة، هذا وقد كانت دراسة المعنى من بين المواضيع التي شارك فيها العديد من العلماء والمفكرين و من مختلف الميادين –علماء النفس، علماء الاجتماع، و فلاسفة ومناطقه وحتى الأدباء والفنانين–كون هذا الأخير يشغل المتكلمين جميعا و باختلاف طبقاتهم، ومستوياتهم الفكرية.

كما أنّ دراسة المعنى تتم وفق اعتبارين مختلفين، يتمثّل الاعتبار الأول في دراسة المعنى من الناحية الوصفية ومن خلالها يتم دراسة معنى الكلام للّغة من اللّغات في فترة زمنية محدد ومكان محدد، أمّا الاعتبار الثاني فيتمثل في دراسة المعنى من الناحية التطورية ومن خلالها يتم دراسة معنى الكلام للّغة من اللّغات من عصر إلى آخر من مراحل التطور التاريخي لها، يؤكّد محمود السعران أنّ فكرة قصور المعنى هي مجرد تصور خاطئ،لأنّ إدراك معاني الكلام يتم بتضافر العناصر اللّغوية وغير اللّغوية كشخصية المتكلم وشخصية المخاطب وما بينهما من صّلات، وما يحيط بالكلام من ظروف خارجية سماها بالملابسات والظروف، كالجو والحالة السياسية ...إلى غير ذلك من الظروف، بمعنى أنّ إدراك معنى الكلام لا يمكن أنّ يكون بمعزل عن السياق الذي يعرض فيه. ثم انتقل في حديثه عن تحصيل المعنى لدى الطفل وفيه أكّد أنّ الطفل أثناء تعلمه للّغة من اللّغات فإنّه يدرك معاني الأصوات قبل قدرته على النطق بها، وأنّ أول ما يحصله من المعاني هو تحصيله لمعاني المحسوسات وخاصة ما ارتبط منها بأعضاء الجسم الإنساني، وبالأدوات التي يستعملها.

[1] – محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، مرجع سابق، ص218، 219.

[2] – المرجع نفسه، ص 259 وما بعدها، بتصرف.

يؤكّد اللّغوي أنّ لكل كلمة مضمونان المضمون الأول مضمون منطقي ويرتبط بالمعنى القاموسي وفهمه يكون موحد بين الأشخاص أو شديد التقارب بينهم أمّا المضمون الثاني فهو مضمون نفسي ويختلف من شخص إلى أخر، هذا وإنّنا غداة استعمال للكلمات نزاوج بين المضمونان فنستعملها بمعناها المنطقي ومعناها النفسي بشكل متضافر.

تعود نشأة علم الدلالة إلى (ميشيل بيرييل) من خلال الدراسة العلمية الحديثة الخاصة بالمعنى التي قام بها في خطابه (Essai de semantque) سنة 1897 وقد استقى مبادئ هذه الدراسة من دراسات اللّغات الكلاسيكية، وقد كانت دراسة (بيرييل) للمعنى مقصورة على الاشتقاق التاريخي وقد كان لها أثر كبير في لفت أنظار اللّغويّين إلى المعنى و إلى تغيره فكان من بين أشهر المدارس التي قامت بدراسة علم:

المدرسة الاجتماعية السويسرية الفرنسية: وكانت بزعامة (دي سوسير) والذي يبني نظريته الاجتماعية على اللغة باعتبارها ظاهرة من بين الظواهر الاجتماعية، كما يفرق بين القيمة اللغوية للكلمة وبين مقصودها و لدراسة هذه القيمة يكفي أن نقوم بدراسة عنصرين أساسيين هما(الفكرة) و (الصورة السمعية)التي تدعو (الفكرة).

المدرسة السلوكية الأمريكية: وكانت بزعامة(بلومفيد) وفيها تم دراسة اللّغة دراسة سلوكية باعتبارها ظاهرة إنسانية وقد وجهت هذه المدرسة عناية اللّغويين إلى ربط المعنى بمجالات غير الكلام كشخصية المتكلم والسامع.

المدرسة الاجتماعية الانجليزية : بزعامة (فيرث) وأساس هذه المدرسة هو اعتبار المعنى كل مركب من عدّة وظائف لّغوية أولى هذه الوظائف الوظيفة الصوتية، ثم المورفولوجية والنحوية القاموسية، والوظيفة الدلالية لـ(سياق الحال).[1]

الباب الخامس[2] وهو آخر باب تناوله هذا الخطاب و جاء بعنوان (تاريخ الدراسات اللّغوية) وفية تحدث عن تاريخ الدراسات اللّغوية بداية من العصور القديمة – قبل النحاة،عند

[1]– محمود السعران، علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي ، مرجع سابق، ص309، بتصرف.

[2]– ينظر المرجع نفسه، ص315 إلى 350، بتصرف.

الهنود و اليونان وعند الرومان – مروراً بالعصور الوسطى وعصر النهضة إلى غاية القرن الثامن عشر والتاسع عشر وصولاً إلى القرن العشرين.

ما يمكننا أنّ نستنتجه من الخطاب التمهيدي لمحمود السعران (علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي) أنّه عمل على تقديم علم اللّغة في صورته التمهيدية التنظيرية فقام بعرض وتبسيط أصول ومبادئ هذا العلم في إطارها العلمي الموضوعي فقد عمل منذ بداية خطابه هذا " على وضع هذه الأصول في إطارها التاريخي جنباً إلى جنب مع طرق التحليل اللّغوي التي استقر عليها الفكر اللّغوي آنذاك."[1] كما تطرق إلى مختلف المواضيع التي لها علاقة بعلم اللّغة والتي تتدرج تحت غطائه باعتبارها فرعاً من فروعه كعلم الأصوات، وعلم المورفولوجيا وعلم الدلالة.

لم يكتفي محمود السعران بالمعالجة العامّة لعلم اللّغة كالتعريف به وبالموضوع الذي يتبناه بل اهتم أيضاً بمعالجة المسائل الجزئية والتي لها ارتباط وثيق به كما أشرنا سابقاً كعلم الأصوات وما تبعه من علوم أخرى وما ذاك إلاّ سعياً منه إلى رفع اللّبس عن هذا العلم الحديث وتبسيطه وتقريبه من القارئ العربي وتزويده بالمفاتيح الكافية التي تفتح له أبواب البحث فيها.

ب/– من حيث المنهج:

أشرنا فيما سبق أنّ الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي يعتمد على المنهج التعليمي الذي يهدف إلى تقريب اللّسانيّات من القارئ العربي بأسلوب سهل وبسيط إلاّ أنّه ليست كل الخطابات التمهيدية العربية التي مرت علينا التزمت بالمنهج التعليمي فمنها من قدمت اللّسانيّات الغربية الحديثة ولكن مع مقارنتها بالتراث اللّغوي القديم ومنها من خلط بين أصول علم اللّغة مع أصول فقه اللّغة كما رأينا في خطابات علي عبد الواحد وافي.

[1]– حلمي خليل، دراسة تحليلية لكتاب علم اللّغة لمحمود السعران، مرجع سابق، ص 1/7.

وفي هذا يقول محمود فهمي حجازي: " وما يزال القراء العرب بحاجة إلى كتب منهجية في علم اللّغة تزخر بالأمثلة والتطبيقات العربية، وإلى كتب أخرى تمثل النظريات والاتجاهات والمدارس المعاصرة في علم اللّغة."[1] حتى تتبلور صورة هذا العلم في ذهن القارئ العربي

صحيح أنّه لا يمكنّنا أنّ ننكر أنّ هنالك من الخطابات التمهيدية التي التزمت المنهج التعليمي وحققت الغاية المنشودة ولكن كما يقول منذر عياشي: " لا تزال اللّسانيّات في العالم العربي ذلك المجهول الذي يثير فينا ريباً وشكاً، وتوحشاً وخوفاً، أكثر مما تثير فينا نزعة – ولو فضولية – لمعرفة موقفنا من واقع الثقافة و العلم في العالم."[2] وهذا راجع إن صح القول إلى ضعف الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي وعدم الالتزام بالمنهج التعليمي في إنتاجه.

استناداً لمّا سبق ذكره نطرح السؤال التالي عن الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي لمحمود السعران والمتمثل في (علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي)ما هو المنهج الذي اعتمده في تعريفه بعلم اللّغة ؟. وما هي المميزات الخطابية في خطابه هذا؟.

لقد اعتمد محمود السعران في خطابه هذا على المنهج التعليمي وما تبعه من بسط وتوضيح حيث يقول: " لقد حاولت ما وسعني التبسيط مع حرصي على الدّقة والسلامة حتى ينتقل القارئ المبتدئ بتحصيل ما فيه و مدارسته، وينتقل منه آمناً إلى مطالعة أصول هذا العلم."[3] فزود هذا التبسيط بشيء من الشواهد و الأمثلة التوضيحية، فحاول أنّ يبسط ما وسعه التبسيط بشيء من الدّقة والتفصيل حتى يتمكن من تقريب هذا العلم الحديث إلى القارئ المبتدئ ويبلور له الفكرة اتجاه هذا العلم في قوله: "و لمّا كنت أتوجه بهذا الكتاب إلى القارئ العربي فقد فصلت الحديث في موضوعات لا يفصل فيها الغربيون، وأوجزت حيث لا يوجزون، وأكثرت من الأمثلة والشواهد في مواضع، و أقللت منها في آخر ."[4]

---

[1]– محمود فهمي حجازي، مدخل إلى اللّسانيّات، مرجع سابق، المقدمة.

[2]– منذر عياشي، اللّسانيّات والحضارة، ط1، عالم الكتب الحديثة لنشر والتوزيع، اربد 2013، ص05.

[3]– محمود السعران، علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، مرجع سابق، ص06.

[4]– المرجع نفسه، ص07.

كما عمل على إثبات المصطلح الإنجليزي بما يقابله من المصطلح العربي خدمة لهذا الغرض حيث يقول: "وكان أول ما رعيته تحقيقاً لهذا الغاية إثبات المصطلح الإنجليزي بحرفه، وانتقاء اللّفظ العربي المقابل له، بحيث لا يوقع في الخطأ، أو الاختلاط فنأيت عن اختيار المصطلح اللّغوي العربي القديم ترجمة لبعض المصطلح الإنجليزي...وآثرت حيث لا أجد المقابل العربي الملائم أنّ استعمل الأوروبي، وذلك كي لا يختلط المصطلح الجديد المنقول بمرماه جانباً إلى جنب دون إيقاع القارئ في البلبلة."[1] دون أنّ يخل بعلمية الموضوع أو موضوعيته، فلجأ إلى كل ما من شأنه أن يقرب اللّسانيّات في صورة الموضحة والمبسطة للقارئ العربي .

ج/- من حيث الغاية أو (الهدف):

لقد سبق و أن أشرنا إلى الهدف أو الغاية من الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي هو إلباس اللّسانيّات الغربية لباساً عربياً لتقريبها من القارئ العربي وجعله يحتضنها بصدر رحب، وما ذاك إلاّ بانتهاجه منهجاً تعليمياً يقوم على تبسط مفاهيمها وتوضيح مناهجها وأسسها الفلسفية، والعلمية، حتى ينصهر في الثقافة العربية ويصبح جزءاً من الفكر العربي.

والغاية نفسها سعى محمود السعران إلى تحقيقها من خلال خطابة التمهيدي(علم اللّغة) وذلك عندما حاول أن يقدم هذا العلم بطريقة سهلة وبسيطة تفتح أمام القارئ أبواب البحث والتخصص أو على الأقل تعرفه بعلم غريب في ثقافته، فكان يهدف محمود السعران بخطابه هذا إلى أن "يبسط أفكاراً وأصولاً في ميدان علم اللّغة لا يستغني أيُّ دارس لهذا العلم في معرفتها قبل أنْ يخوض في مدارسه ونظرياته التي تشعبت وتطورت تطوراً هائلاً منذ وفاة الدكتور السعران حتى الآن."[2]

يقول محمود السعران في خطابه:"وهذا الكتاب في علم اللّغة محاولة أقدمها في هذا السبيل، وهو كتاب يحدد أسلوب عرضه للموضوعات، ومنهج تناوله للمسائل، أنّه مقدمة للقارئ العربي."[3] يشير محمود السعران إلى الغاية التي من أجلها ألّف هذا الخطاب وهو

---

[1]-محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، مرجع سابق، ص07.

[2]- حلمي خليل، دراسة تحليلية لكتاب علم اللّغة لمحمود السعران، مرجع سابق، ص 1/6.

[3]- المرجع نفسه، ص05.

التعريف بهذا العلم وتبسيط مفاهيمه وأصولها، وتقديم أسسه النظرية والمنهجية للقارئ العربي في قالب علمي تعليمي، بشكل ميسّر حتى يتمكن من احتواء هذا العلم.

لقد كان الهدف التعليمي حاضراً في خطاب محمود السعران اللّسانيّ التمهيدي ويتمثل في التعريف بعلم اللّغة والموضوع الذي يعالجه بشيء من الدّقة والتفصيل، فكان يسعى إلى تطوير الدرس اللّغوي العربي وجعله قادراً على إعادة وصف اللّغة العربية ومعالجة قضاياها اللّغوية، فلم ينحرف عن هدفه التعليمي إلى أهداف أخر، كهدف إبراز مكانة التراث اللّغوي العربي، أو إحداث المقارنة بين التفكير اللّساني الحديث و ونظيره اللّغوي العربي القديم.

3- شكل ومضمون الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي عند محمود السعران:

نقصد بالشكل هنا (العنوان ومقدمة ولغة الخطاب) كما ذكرتها هبه خياري في خطابها "خصائص الخطاب اللّسانيّ في الصفحة الواحد و العشرين، وهما عناصر أساسية يتكون منها الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي والتي تتضح خصائصه من خلالها.

أ / العنوان:

لقد أعطت نظريات القراءة ونظريات النص أهمية كبيرة للعنوان، باعتباره بوابة الخطاب والواجهة الأولى التي تعترض القارئ كونه أولى العتبات التي يتعتبها قبل دخوله إلى محتوى الخطاب، فإمّا أنْ يولد له رغبة في قراءة هذا الخطاب أو يولد له إعراض عنه ، يقول محمد بازي : "يعتبر العنوان في نظريات النص الحديثة عتبة قرائية، وعنصراً من العناصر الموازية التي تسهم في تلقي النصوص، وفهمها، وتأويلها داخل فعل قرائي شمولي."[1] وكأنّ العنوان لمحة عامّة أو فكرة معبرة عن محتوى الخطاب ومضمونه.

مما لاشك فيه أنّ العنوان يختلف من خطاب إلى خطاب أو من مؤلف إلى مؤلف، كأنْ يتكون من كلمة أو كلمتين أو أكثر، أو ينقسم إلى قسمين قسم رئيسي وقسم فرعي وهذا راجع إلى طبيعة الموضوع الذي يعالجه الخطاب أو إلى أي مؤلف أخر .

[1]- محمد بازي، العنوان في الثقافة العربية: التّشكيل ومسائل التأويل، الدار العربية لعلوم ناشرون لبنان، منشورات الاختلاف الجزائر، دار الأمان، الرباط، 2012، ص15.

ونحن في صدد حديثنا عن الخطاب التمهيدي لمحمود السعران (علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي) فإنّنا نجد أنّ العنوان ينقسم إلى قسمين قسم رئيسي المتمثل في (علم اللّغة) وقسم فرعي والمتمثل هو الآخر في (مقدمة للقارئ العربي) ويمكننا أنْ نمثله في المخطط الأتي[1]



حرص محمود السعران على أنْ يكون عنوان خطابه (علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي) كصورة عامة معبرة تعكس عما يحتويه الخطاب في ثناياه، فكان يهدف من خلال وضعه لهذا العنوان إلى لفتْ انتباه المتلقي أو القارئ العربي وشدّه، وربط ذهنه وفكره بمحتوى هذا الخطاب .

لقد كان عنوان الخطاب (علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي) عنوانا فضفاضاً شاملاً يحيل إلى علم اللّغة بصفة عامّة دون أنْ يخصص فرع من فروعه، أو تيار معين ، فكان يتوجه السعران بخطابه هذا إلى القارئ العربي المبتدئ، الجاهل بمبادئ هذا العلم فاستعمل لفظة (مقدمة) – وهي كلمة مفتاحية تحمل معنى التبسيط والتسهيل مع مراعاة الأحوال– لجذب انتباه القارئ والتأثير فيه وتحفيزه على الاطلاع على محتوى هذا الخطاب.

ما يمكننا استخلاصه أن محمود السعران كان يسعى من خلال عنوان خطابه (علم اللغة مقدمة للقارئ العربي) إلى التمهيد أو التنظير لعلم اللغة وتمكين القارئ العربي منه وتعريفه بمبادئه النظرية والمنهجية في أبسط صوره، فكانت الغاية التعليمية بارزة فيه وبشكل مكثف.

ب/– المقدمة:

من المعروف أنّ المقدمة هي فاتحة أيُ خطاب وهي أول رسالة تصل إلى القارئ من المؤلف فإمَّا يقتنع من خلالها بولوج عالم النص أو الإعراض عنه، وهي العتبة الثانية التي يمر عليها القارئ بعد العنوان إلى الخطاب وتأثيرها على المتلقي يفوق تأثير العنوان عليه.

[1] – المخطط من إنجاز الطالبتين.

تختلف مقدمات وتتنوع من مؤلف إلى آخر، ولكن في المؤلفات التمهيدية تكاد تكون متشابهة أو شديدة التقارب وما ذاك إلاّ لتشابه المواضيع وتقاربها، كأنّ تحتوي إشارة إلى أهمية اللّسانيّات، أو ضرورة استثمارها في الثقافة العربية، أو ربما أهمية التخصص الذي يطرحه الخطاب، بالإضافة إلى الإشارة إلى منهجية الخطاب وهدفه وخطة عمله، وفي هذا يقول حافظ إسماعيل علوي: " مقدمة هي الصورة المثالية التي يتطلع الكاتب إلى انجازها، إذ عليها يترتب نجاح التلقي أو فشله."[1] لذا فنجاح الخطاب يعود بالدرجة الأولى إلى مقدمة.

ولما كان خطاب محمود السعران من بين الخطابات التمهيدية التي تسعى إلى تبسيط اللّسانيّات وتسهيلها فإنّنا نلاحظ أنّ الوظيفة الانفعالية التأثيرية تبرز وبشكل واضح في مقدمة خطابه والتي ركزت بدورها على هذه الغاية وما ذاك إلاّ لجذب اهتمام القارئ والتأثير عليه وإغرائه ببعض العبارات والألفاظ المختارة والمنتقاة ليفتح الخطاب ويطلع على محتواه، وهذا ما يتضح من قوله: "لقد حاولت تبسيط حقائق هذا العلم ما وسعني التبسيط، مع حرصي على الدقة والسلامة، حتى يستقل القارئ المبتدئ بتحصيل ما فيه ومدارسته."[2] فكان يشير محمود السعران بقوله هذا إلى تبسيط علم اللّغة للقارئ المبتدئ الذي يريد ولوج عوالم الفكر اللّسانيّ والانخراط في مناهجه ونظرياته.

ب.1- مميزاتها:

1- من أهم ما تميزت به مقدمة محمود السعران القصر، فهي عكس بعض مقدمات الطويلة التي يخرج فيها صاحبها عن الموضوع إلى ذكر أمور أخرى ليست علاقة بالموضوع.

2- لم يذكر فيها خطة عمل الخطاب، وإنّما اكتفى فيها بالإشارة على التمهيد فقط في قوله: " لذلك مهدت لكتابي هذا بمقدمة طويلة شيء ما تهيئه لذهن القارئ الشادي لتلقي أصول هذا العلم بأيسر سبيل، وأدنى مجهود ."[3]

---

[1]- حافظ إسماعيل علوي، اللّسانيّات في الثقافة العربيّةالمعاصرة، مرجع سابق، ص07.

[2]- محمود السعران، علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، مرجع سابق، ص06.

[3]-المرجع نفسه، ص 06.

3- تركيزه على القارئ العربي في قوله " ...كنت أتوجه بكتابي هذا إلى القارئ العربي."[1] وعلى القارئ المبتدئ بشكل خاص في قوله:" حتى يستقل القارئ المبتدئ بتحصيل ما فيه ومدارسته ."[2] وما ذاك إلاّ لكونه يسعى إلى تعريفه بهذا العلم وتمكينه من أصوله ومبادئه

ج/- لغة الخطاب التمهيدي لمحمود السعران:

تكون اللّغة في أيّ خطاب إمّا عادية، أو علمية، أو أدبية وذلك حسب الموضوع الذي يطرحه الخطاب، وعليه ما هي اللّغة التي قدم بها محمود السعران خطابه ؟.

بما أنّ الموضوع الذي قدمه في خطابه هو موضوع علمي فمن الطبيعي أنْ تكون اللّغة التي قدمه بها لّغة علمية، وفي هذا يقول محمد محمد داود:" فالبحث اللّغوي بحث علمي وليس انطباعاً أو إبداعاً فنياً."[3] لأنّه يستدعي إلى الدّقة في المصطلحات والابتعاد عن الخيال، والإسهاب في وصف الظواهر، لذلك فالبحث اللّغوي الذي قدمه محمود السعران هو موضوع علمي.

فعلمية اللّغة في خطاب محمود السعران هي علمية فرضها الموضوع أو البحث اللّغوي العلمي الذي عالجه، ويمكننا تحسس تلك اللّغة العلمية من خلال المصطلحات التي استعملها، وطريقة معالجته للقضايا باستعماله الشواهد والأمثلة التوضيحية والابتعاد عن الخيال والإسهاب في الشرح وتوضيح الغموض في الدلالة وحضور الذاتية التي تصدر أحكاماً نابعة من ذات المؤلف، لقد التزم محمود السعران بالموضوعية في الموضوع الذي عالجه في خطابه التمهيدي، فلم يطلق أحكاماً ذاتية لتقييم أيّ إنتاج علمي لّغوي، أو أحكاماً ذاتية على المؤلفات التمهيدية التي تناولت علم اللّغة أو اللّسانيّات.

وبعد هذا التحليل للخطاب اللّساني التمهيدي لمحمود السعران- والذي نحونا فيه نحو هبة خياري-[4] يمكننا أنْ نستنتج المميزات التالية:

---

[1]- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي،المرجع سابق، ص07.

[2]- المرجع نفسه، ص06.

[3]- محمد محمد داود، العربية وعلم اللّغة الحديث، مرجع سابق، ص85.

[4]- ينظر هبة خياري، خصائص الخطاب اللساني، مرجع سابق.

4- مميزات الخطاب اللّساني التمهيدي العربي لمحمود السعران:

تميز الخطاب اللّسانيّ التمهيدي عند محمود السعران بجملة من الخصائص هي:

أ. الوضوح:

إنّ الوضوح في الخطاب اللّسانيّ التمهيدي لمحمود السعران مرتبط باللّغة العلمية التي تستدعي لاستعمال ألفاظ مباشرة ودقيقة الدلالة، عكس الأدبية التي تحتوي ألفاظاً غامضة الدلالة وعبارات المدح أو الذم والمجاز، هذا من جهة ومن جهة أخرى يعود الوضوح إلى بساطة أسلوب محمود السعران في تناول الموضوع، حيث يستخدم التحديد، والتعريف والاستدلال وغيرها من أدوات الأسلوب البسيط .

ب.الموضوعية:

إنَّ الموضوعية من أهم السّمات العلمية في الخطاب العلمي، وهذا ما نلمسه في الخطاب اللّسانيّ التمهيديّ لمحمود السعران، فتناول مبادئ وأصول علم اللّغة دون أنْ يخل بعلمية الموضوع وموضوعيته، كما تظهر موضوعية محمود السعران من خلال اجتنابه لإطلاق الأحكام الذاتية و التزامه بتحكيم الأصول العلمية .

ج.اللّغة العلمية:

لّغة الخطاب التمهيديّ لمحمود السعران لّغة علمية محض وذلك لأنَّ الموضوع الذي طرحه موضوع علمي محض، لذلك ابتعد عن اللّغة الأدبية التي لا تخدم أهداف الخطاب العلمي.

د.الاستعانة بالشواهد ولأمثلة التوضيحية:

تملأ الأمثلة التوضيحية خطاب محمود السعران وما ذاك إلاَّ لتقريب الفهم من القارئ العربي وتبسيط المعلومات وتوضيحها وشرح الغامض منها وفي هذا يقول:"وأكثرت من الأمثلة والشواهد في مواضع، و أقللت منها في آخر."[1] فكانت الأمثلة مستوحاة من اللّغة الإنجليزية و من اللّغة العربية، هذا وقد استعان محمود السعران بالمصطلحات الإنجليزية وما

[1]- محمود السعران، علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، مرجع سابق، ص07.

يقابلها من الألفاظ العربية، وهذا إنْ دلَّ على شيء إنمّا يدل على مدى تأثره بالفكر اللّغوي الغربي.

هـ. ترابط النصوص:

إنَّ الترتيب المنطقي الذي التزمه محمود السعران في طرح أفكاره جعل نصوص خطابه التمهيدي تترابط فيما بينها لتخدم في الأخير الموضوع المطروح الذي من أجله ألف خطابه .

يمكننا أنْ نقول في الأخير أنّه كانت هذه المميزات التي تناولناها من بين أهم مميزات الخطاب اللّسانيّ التمهيدي عند محمود السعران والمتمثل في (علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي).

ختاماً يمكننا أنْ نقول أنَّ محمود السعران استطاع "أنْ يهز و يزعزع – على الأقل دخل الجامعة– الكثير من الأفكار التي قام عليها التفكير اللّغوي التقليدي، فزلزل فكرة اكتمال علوم اللّغة العربية بما طرحه من مبادئ وأصول فكانت التفرقة بين دراسة اللّغة من حيث هي ظاهرة إنسانية عامّة ودراسة اللّغة من حيث هي لّغة معينة أمراً لم يلتفت إليه أحد من القدماء وكثير من المحدثين قبل ظهور هذا الخطاب."[1] ليكون بذلك خطاب محمود السعران التمهيدي محاولة جادة سعى من خلالها إلى دراسة اللّغة دراسة علمية موضوعية سعياً منه إلى تطوير الدرس اللّغوي العربي وفق منهج علمي دقيق، فاستطاع أنْ يمكن القارئ العربي من أنْ يتزود من مفاتيح (علم اللّغة) وأنْ ينخرط مع هذه الدراسة الجديدة دون أنْ يشعر أنَّها دراسة دخيلة على اللّغة العربية أو أنّها دراسة غربية لا تعنيه في شيء، وذلك بفضل المنهج الذي انتهجه محمود السعران وهو المنهج التعليمي التبسيطي، والذي يعدُّ المنهج الأنسب لمعالجة القضايا المستعصية على الفهم، ولتقريب أيُ علم جديد.

[1]–حلمي خليل، دراسة تحليلية لكتاب علم اللّغة لمحمود السعران، مرجع سابق، ص 1/14.

المبحث الثاني: تحليل الخطاب اللّساني التمهيدي لمصطفى غلفان.

تمهيد:

لقد عرفت مكتبة اللّسانيّة العربية كماً هائلاً من الخطابات اللّسانيّة التمهيدية، وهذا ما جعلنا نقف أمام عدد كبير من المؤلفات اللسّانيّة، إلاّ أنّنا في الكثير من الأحيان نجد أنفسنا أمام واقع يوضح لنا حقيقة اللّسانيّات، وأنّ مفهومها لم يضبط بعد، وهذا ما يفرض نفسه في العديد من المؤلفات، أيْ أنّ اللّسانيّين العرب يسارعون إلى التأليف في هذا المجال بالرغم من إدراكهم الجلي بأنّ هناك من سبقهم إلى الخوض فيه، وهذا ما أدى إلى استمرارية التأليف في التعريف باللّسانيّات الغربيّة إلى يومنا هذا رغم مرور أزيد من نصف قرن على ولوجها إلى الثقافة العربية، وهذا ما جعل القارئ العربي يواجه مشكلاً كبيراً في تلقي هذا العلم. فمصطفى غلفان في سنة 2010 يقدم للقارئ العربي خطاباً لسانيًا تمهيديًا بعنوان "في اللّسانيّات العامة" ما يشير إلى أنّ القارئ العربي مازال لم يتعرف على اللّسانيّات الغربية حسب مصطفى غلفان من خلال خطابه المذكور سابقا حين طرح إشكالية "تاريخ اللّسانيّات أي تاريخ؟لأي لّسانيّات ؟أي لّسانيّات نقصد ؟."[1] أي أنّ مصطفى غلفان أراد من هذا الإشكال أنّ يدق ناقوس الخطر الذي يواجهه القارئ العربي وأن يعرف بتاريخ اللّسانيّات وأصولها الأولى "ومن المعلوم كذلك أنَّ اللّسانيّات العامّة Linguistique généra لم تصبح علماً عامّاً قائماً بذاته إلاّ في بداية القرن العشرين مع ظهور دروس دو سوسير ما بين1906و1911 وعلى أبعد تقدير مع نشر هذه الدروس سنة1916 . لذا فإنّ القول بظهور اللّسانيّات على يد سوسير، يعني ببساطة إلغاء قرون طويلة من النّشاط اللّغويّ في الحضارات المختلفة هنديّة ويونانيّة والعربيّة إضافة إلى الجهود اللّغويّة لفترة ما بعد النّهضة الأوروبيّة."[2] وهذا يعني أنّ الغرب قد ألغى الفكر اللّغوي العربي القديم، وصّرح

---

[1]– مصطفى غلفان، في اللّسانيّات العامّة: تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، 2010، الغلاف.

[2]– المرجع نفسه، ص94.

بولادة اللّسانيّات الغربية منذ مطلع القرن التاسع عشر فقط . ومنه كيف يمكن للمتلقي العربي أنْ يتناول موضوع تاريخ التفكير اللّغوي في ضوء موقفين متعارضين؟.

– ما هي المحفزات الأساسية وراء التأليف في اللّسانيّات العربية التمهيدية ؟.

– هل المتلقي العربي مازال حبيس الفكر اللّغوي العربي القديم.؟ أم أنّ فكره قد انفتح على أسس لّسانيّة عربية جديدة .؟

– هل التأليف اللّسانيّ العربيّ التمهيدي وسيلة للهرب من كابوس اللّسانيّات العربية؟ أم أنّه نابع عن الإدراك العميق بفشل الخطابة اللّسانيّة التمهيدية في نقل اللّسانيّات إلى القارئ العربي وتعريفه بها.؟

1/ التعريف بمصطفى غلفان:[1]

يعد مصطفي غلفان من أهم الرواد الذين كانت لهم الريادة و الأسبقية في نقل اللّسانيّات الغربية إلى الثقافة العربية، و"الذي ولد في 9أيار/مايو1952بالدار البيضاء.

أ. هم إنجازاته:

- حاصل على الإجازة في اللُّغة العربية من كلية الآداب جامعة محمد الخامس، الرباط.
- حاصل على الدكتوراه السلك الثالث في اللّسانيّات العامة من جامعة باريس 7 حازران /يونيو 1980.
- حاصل على الدكتوراه الدولة في اللّسانيّات من جامعة حسن الثاني عين الشق،الدار البيضاء،1991.
- أستاذ التعليم الآلي سابقاً بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش من ثم الدار البيضاء،عين الشق.
- عضو الهيئة الاستشارية بمجلة الدراسات المعجمية، الرباط، المغرب.
- عضو سابق بالعديد من المجموعات البحث التكويني بكليات الآداب المغربية.
- رئيس شعبة اللُّغة العربية وآدابها بكلية الآداب، الدار البيضاء، عين الشق ما بين 1990و1992.

[1]– ينظر مصطفى غلفان،في اللّسانيّات العامة مرجع سابق، الغلاف.

ب.أهم مؤلفاته:

- نشر ما يزيد على عشرين دراسة علمية في مختلف المجالات اللّغوية، النحو واللّسانيّات العامة، واللّسانيّات العربية والمصطلح ومنها اللّسانيّات العربية الحديثة أسئلة المنهج، عمان، دار الورد للنشر والتوزيع،2011(منشورات فريق البحث في اللُّغة والتواصل والحجاج كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير).
- في اللّسانيّات العامّة، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،2013.
- اللّسانيّات في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتكوين، ط2، مكتبة المدارس، الدار البيضاء، المغرب،2006، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،2013.
- اللّسانيّات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر و الأسس النظرية والمنهجية منشورات كلية الآداب، عين الشق، الدار البيضاء، المغرب،1998.
- النحو التوليدي من نموذج المعيار إلى نموذج البرنامج الأدنى: مفاهيم والأمثلة بالمشاركة إربد عالم الكتب الحديث،2011.
- له العديد من المطبوعات المقرونة بخزانة كلية الآداب، عينا لشق، الدار البيضاء المغرب.

2/ شكل ومضمون الخطاب اللّساني التمهيدي العربي عند مصطفى غلفان:

تطرقنا في دراسة الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي[1] لمصطفى غلفان إلى جوانب أساسية تتضح من خلال خصائص وسمات الخطاب، وهي(عنوان النص، ومقدمته، وطرح العام ولّغة الخطاب). والتي لا يمكن الاستغناء أو التغاضي عنها، وتكمن أهمية هذين المكونين (عنوان والمقدمة) في كونهما أول المؤشرات التي تدخل في نقاش مع المتلقي وتثير فيه نوع من الفضول وإغراء العلمي والمعرفي، علماً أنّنا نحونا في عملنا هذا نحو هبة خياري في خطابها خصائص الخطاب اللّسانيّ.

[1] – ينظر، هبة خياري، خصائص الخطاب اللّساني، مرجع سابق،ص127، 128.

➢ **2-1 العنوان:**

تتجلى أهمية العنوان بشكل عام، في اعتباره مكون نصي يشكل سلطة النص، وواجهته الإعلامية، وهذه السلطة تمارس على المتلقي نوع من السيطرة الأدبية، وهذا ما يدفعه للكشف عن طبيعة النص والمساهمة في فك غموضه، مما يتيح للقارئ تحليل النص وفك شفراته، ومن ثمة فإنّ الغاية التي يحظى بها العنوان نابعة من اعتباره مفتاحاً في التعامل مع النص في بعديه الدّلالي والرمزي، ومنه فالعنوان هو الثرية التي تضيء فضاء النص وتساعد على استكشاف أغواره، فيكون العنوان بذلك ضرورة خطابية تساعد على اقتحام عوالم النص، لأنَّ المتلقي: "يدخل إلى العمل من بوابة العنوان متأولًا له، وموظفاً خلفيته المعرفية، في استنطاق دواله الفقيرة عدداً وقواعد تركيب وسياقاً، وكثيراً ما كانت الدلالية العمل هي ناتج تأويل عنوانه أو يمكن اعتبارها كذلك دون إطلاق."[1]

ومنه فإنّ العناوين في مجملها تتوزع بين الطول والقصر والتوسط، وتتألف من كلمة أو كلمتين أو أكثر، وقد يكون عنواناً رئيسيا فقط، وقد يجمع بين عنوان رئيسي، وعنوان فرعي وقد تكون غير هذا:"ينقسم العنوان في عمومه إلى عنوان رئيسي وآخر فرعي، وقد تكتفي بعض المؤلفات بالعنوان الرئيسي فقط، كما تعتمد أخرى على استخدام الاثنين معا، وهو أمر مرتبط بالدرجة الأولى، بطبيعة الموضوع المطروح، وبالجانب المعالج منه."[2]

وهذا ما يحيلنا إليه مصطفى غلفان من خلال خطابه "في اللّسانيّات العامة:(تاريخها،طبيعتها،موضوعها،مفاهيمها).ومن خلال ما سبق يتضح لنا أنّ مصطفى غلفان اعتمد في عنونته لخطابه على عنوانين، عنوان رئيسي وآخر فرعي. ويمكننا أنّ نوضح ذلك من خلال تمثيلنا لبعض عناوين الخطابات المختلفة، كما هو موجود عند هبّة خياري.[3]

---

[1]- محمد فكري الجزار،العنوان و السيميوطيقا، الاتصالات لأدبي، الهيئة العامّة المصرية للكتاب، القاهرة،1998، ص19.

[2]- هبه خياري، خصائص الخطاب اللّسانيّ، مرجع سابق، ص128.

[3]- ينظر، المرجع نفسه، ص129.

المؤلف	العنوان	العنوان الرئيسي	العنوان الفرعي
مصطفى غلفان	في اللّسانيّات العامّة تاريخها،طبيعتها موضوعها،مفاهيمها.	في اللّسانيّات العامة.	تاريخها، طبيعتها موضوعها،مفاهيمها.
	اللّسانيّات البنوية(منهجيات واتجاهات).	اللّسانيّات البنوية	(منهجيات واتجاهات).
	اللّسانيّات العربية الحديثة (دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية).	اللّسانيّات العربية الحديثة.	(دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية).
	اللّغة واللّسان والعلامة عند دي سوسير(في ضوء المصادر الأصول).	اللّغة واللّسان والعلامة عند دي سوسير.	(في ضوء المصادر والأصول).
	اللّسانيّات العربية(أسئلة المنهج).	اللّسانيّات العربية.	(أسئلة المنهج).

➢ **وظيفة العنوان**

العناوين كاريزمات ضرورية للقراءة بالنظر إلى الوظائف التي تؤديها: "تتحدد الوظائف اللّغوية عند ياكبسون بستّ وظائف أساسية هي:-الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية Fonction Emotive التأثيرية والإغرائية."[1]

- الوظيفة المرجعية الإحالية.
- الوظيفة التّواصلي

وبهذا يكون العنوان هو البنية الرحمية لكل نص وتشكل هذه البنية سلطته وواجهته الإعلامية

أ.الوظيفة التواصلية:

إنَّ الهدف من الوظيفة التواصلية هو تبئير انتباه المتلقي، وربط نوع من التواصل بينه وبين الكتاب، وخلق نوع من التقارب بينهما: "وتهدف الوظيفة الاتصالية في العنوان، إلى خلق شكل أوليّ من التّفاعل بين القارئ والكتاب، من خلال تحفيزه لممارسة القراءة."[2]

ب.الوظيفة الانفعالية/التأثيرية/الإغرائية:

إنَّ متلقي الخطاب اللّسانيّ العربي قارئ غايته التّعرف على مبادئ اللّسانيّات، باعتبارها علماً جديداً، وهذا النوع من الخطاب يلفت انتباه القارئ، ويثير فضوله بعبارات محبوكة توحي بالتبسيط، والتسهيل، وتؤدي عناوين الخطابات اللّسانيّة العربية هذه الوظيفة، من خلال التركيز على كلمة مفتاح التي تشكل بؤرة العنوان، ويمكننا أن نمثل لذلك من خلال الجدول التالي، كما هو موجود عند هبة خياري:[3]

[1] – ينظر، هبة خياري، خصائص الخطاب اللّساني، مرجع سابق ،ص131.

[2]– المرجع نفسه، ص133.

[3]– ينظر المرجع نفسه، ص134.

عنوان الخطاب	الكلمات المفتاحية
* مباحث في النّظرية الألسنية وتعليم اللّغة.	* مباحث
*علم اللّغة مقدمة إلى القارئ العربي.	* مقدمة
* قضايا ألسنية تطبيقية. * قضايا إبستيمولوجية (في اللّسانيّات).	* قضايا
*دروس في علم اللّغة العام.	* دروس
*توطئة لدراسة علم اللّغة.	* توطئة
* مدخل إلى علم اللّغة. * مدخل إلى لّسانيّات سوسير. * مدخل في اللّسانيّات. * مدخل إلى السيميائيات السردية.	*مدخل

ت.الوظيفة المرجعية / الإحالية:[1]

تسعى هذه الوظيفة إلى تعيين موضوع الخطاب، وتحديد غاياته، وتشكل هذه الوظيفة نوعاً من الالتزام بين المؤلف والقارئ، قائم على مبدأ إدراك وفهم مجمل النصوص فهماً واعياً يراعي به مختلف الخطابات سواءً كانت هذه الخطابات في الفكر اللّغوي العربي القديم أوفي اللّسانيّات العربية، أو حتى في اللّسانيّات الغربية.

- **المقدّمة:**

تعدّ مقدّمة بمثابة العتبة أو المدخل، أو البهو.الذي يلج منه المتلقي إلى دهاليز النص،أو المؤلف، ليسيطر على أولياته ويلج معه في نقاش، وحوار كما : "تمارس مقدّمة عموماً نوعاً

[1]– ينظر، هبة خياري، خصائص الخطاب اللّساني، مرجع سابق، ص136.

من الإغراء، وهي بذلك عنصر مساعد للعنوان ومؤثّر بالقارئ، لا بل إنَّ تأثيرها يتجاوز تأثير العنوان بكثير."[1] كما أنّ المقدّمات مصطفى غلفان تتميز بأساليب معين في الطّرح وهي بذلك تختلف من كاتب إلى آخر.إلاّ أنَّ اللّسانيّات بصفة عامة، والعربية بصفة خاصة تعالج في منهجها العام أفكار متقاربة، وهذا ما تطرق إليه مصطفى غلفان من خلال مقدّمة خطابه(في اللّسانيّات العامة)، والذي طرح فيها" القضايا اللّسانيّة في أصولها وتطوراتها، والربط بين أوّليّات اللّسانيّات في بعدها النظريّ و المنهجيّ العام."[2]

كما أشار[3] مصطفى غلفان إلى أهمية اللّسانيّات وحداثتها، معالجاً بذلك بعض الأسس الفكرية والمنهجية التي تقوم عليها(اللّسانيّات العامة).ولا سيما أنَّ هذه القضية موجه إلى فئة محددة من القرّاء كما يشير مصطفى غلفان، وهذه الفئة هم الطلبة المبتدئون في اللّسانيّات وجمهور المثقفين، وقد توجه مصطفى غلفان من خلال خطابه هذا في الجمع بين العمق والتبسيط، وبين المتابعة التاريخية والتقديم الوصفي العام للقضايا اللّسانيّة العامّة من جهة وللمفاهيم النظريّة والإجرائية من جهة ثانية، وكل هذه الأمور قد تطرقنا إليها في موضع آخر من البحث.

لقد كان اهتمام مصطفى غلفان بالقارئ العربي ومحاولة تلبية حاجاته المعرفيّة في مجال اللّسانيّات واضحاً وجلياً في مقدمة هذا الخطاب (في اللّسانيّات العامة)، كما انصب أسلوب مصطفى غلفان في الإقناع من أجل غرس جملة من الأفكار بذهن القارئ كالتعريف بتاريخ اللّسانيّات، وأهميتها، وضرورة بناء لّسانيّات عربية، وجعل اللّسانيّات مادّة تعليميّة في المدارس، والجامعات العربية.

[1] – هبة خياري، خصائص الخطاب اللّساني، مرجع سابق، ص137.

[2] – مصطفى غلفان، في اللّسانيّات العامة، مرجع سابق، المقدّمة.

[3] – ينظر، هبة خياري، المرجع نفسه،ص137 إلى 140.

3/ تحليل الخطاب اللّساني التمهيدي العربي لمصطفى غلفان :

أ/–من حيث الموضوع

لقد أشار مصطفى غلفان[1] في إطار منهجه التّعليمي دراسة وتحليل العناوين الرئيسية إلى عناوين فرعية ونقصد بالعناوين تلك التي تندرج مفاهيمها تحت العناوين الرئيسية، مما يعني أنّه يحلّل المعلومات الكبرى إلى معلومات أصغر منها، إذ اعتمد مصطفى غلفان على أسلوب التّحليل بشكل جلي، و يظهر ذلك في أغلب مؤلفاته إنْ لم نقل كلها.

إنَّ قابلية فهم الموضوع المطروح، هي الّتي تمنح المؤلّف القدرة على تجزئة المعلومات أو الأفكار المطروحة، إلى أخرى جزئية قابلة للإدراك والفهم، ولا يتوقف هذا التّحليل بالنسبة للمؤلّف عند مستوى العنوان الرئيسي أو العناوين الفرعية فحسب، بل يتعدى ذلك لينبثق عن هذا الأخير عناوين أخرى تحت العناوين الفرعية، وهذا ما يوضحه لنا مصطفى غلفان حينما يعتمد في تحّليله للموضوع على تجزئة المعلومات وإعادة دراستها مرّة أخرى، ويمكننا تمثيل هذه التّحليلات في المخطط التالي[2] الذي يعكس تحليل المعلومات الكبرى (العناوين الرئيسية)، إلى عناوين فرعية (مواضيع الخطاب)، وتحليل هذه الأخيرة إلى عناوين فرعية تحت الفرعية تحلل بدورها إلى مستوى أول وثان أيضاً، وهو ما يعكس فهم المؤّلف وإلمامه بمختلف الجوانب الموضوعية والفكرية المطروحة.

[1] – ينظر، هبة خياري، خصائص الخطاب اللساني، مرجع سابق، ص128.

[2] – ينظر، المخطط من عمل الطالبتين.

في اللّسانيّات العامة(تاريخها،طبيعتها،موضوعها،مفاهيمه

الباب الأول[1]

اللّغة في بعدها الإنسانّي

الطبيّعة النّفسية للّغة

اللّغة وكينونة الإنسان.

– السّلوك اللّغوي .

– بين اللّسانيّات وعلم النفس.

2–التصوّر السّلوكيّ

–السّلوكية التّقليدية.

–السّلوكية الأداتيّة.

–السّلوكية الوسيطية و إشراط المعنى .

–ملاحظات حوّل التصوّر السّلوكّي لطبيعة اللّغة.

3–التصوّر العقلانيّ.

4–التصوّر التكويني.

5 –اكتساب اللّغة.

الطبيّعة الاجتماعية للّغة .

اللّغة والمجتمع تحصيل حاصل.

1– علاقة اللّغة بالفكر

–هيردر:علاقة عقلية الشعب باللّغة .

–همبولدت:(1767–1835)

اللّغة تخلق الأمة والأمة تخلق اللّغة.

فرضية وورف – سابير.

التعريف السّيميولوجي للُّغة

1–اللّسانيّات والسّيميولوجيا

2– الوقائع السّميولوجية

3–خصائص اللّغة البشرية

–من التعبير إلى التواصل

–مميزات اللّغة البشرية من غيرها

–وظائف اللّغة.

[1] – ينظر، مصطفى غلفان، في اللّسانيّات العّامة، مرجع سابق، ص11 إلى61.

الباب الثاني: اللّسانيّات التاريخ والتطور[1]



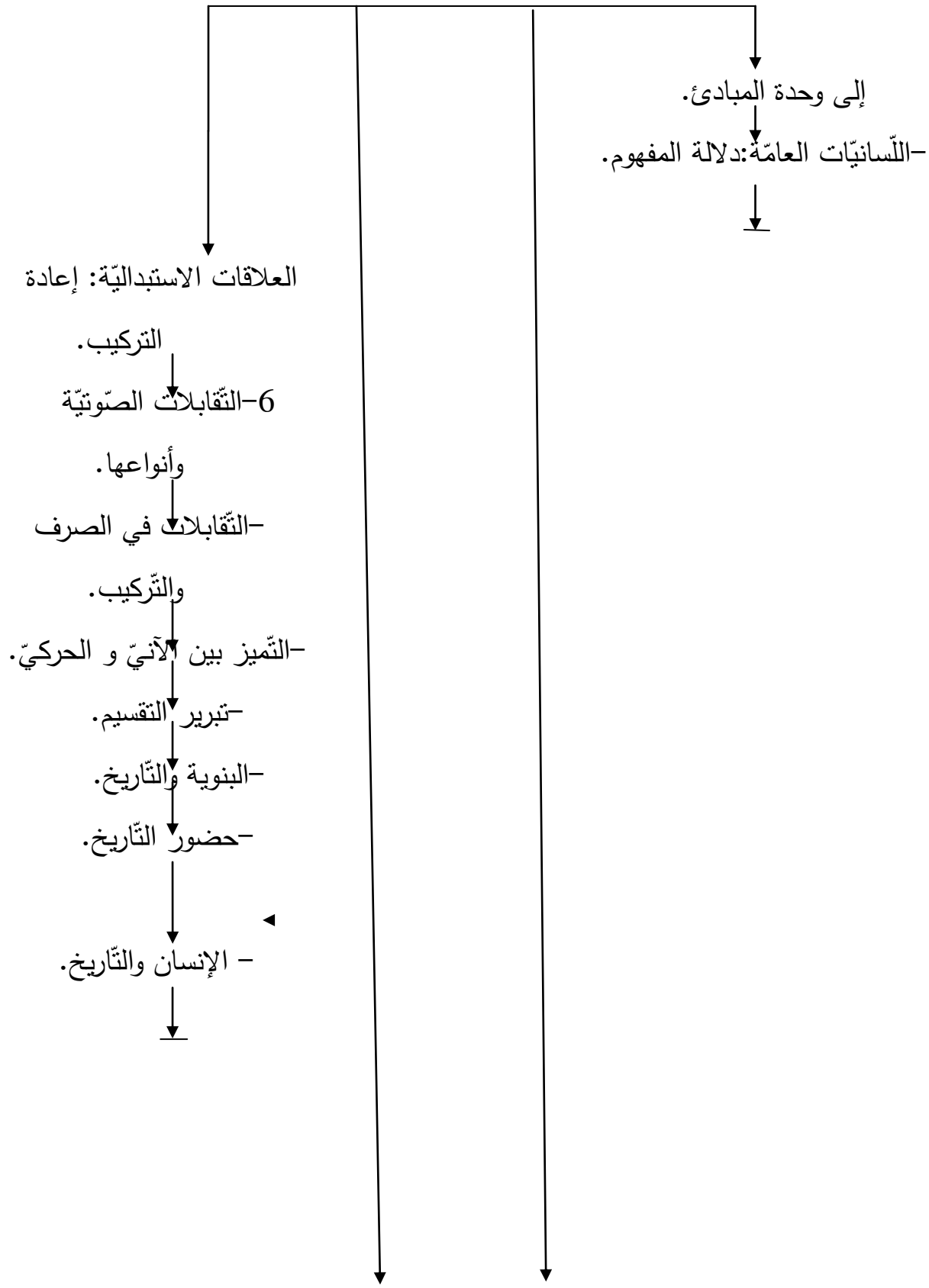
[1]- ينظر، مصطفى غلفان، في اللّسانيّات العامّة، 87 إلى 165.

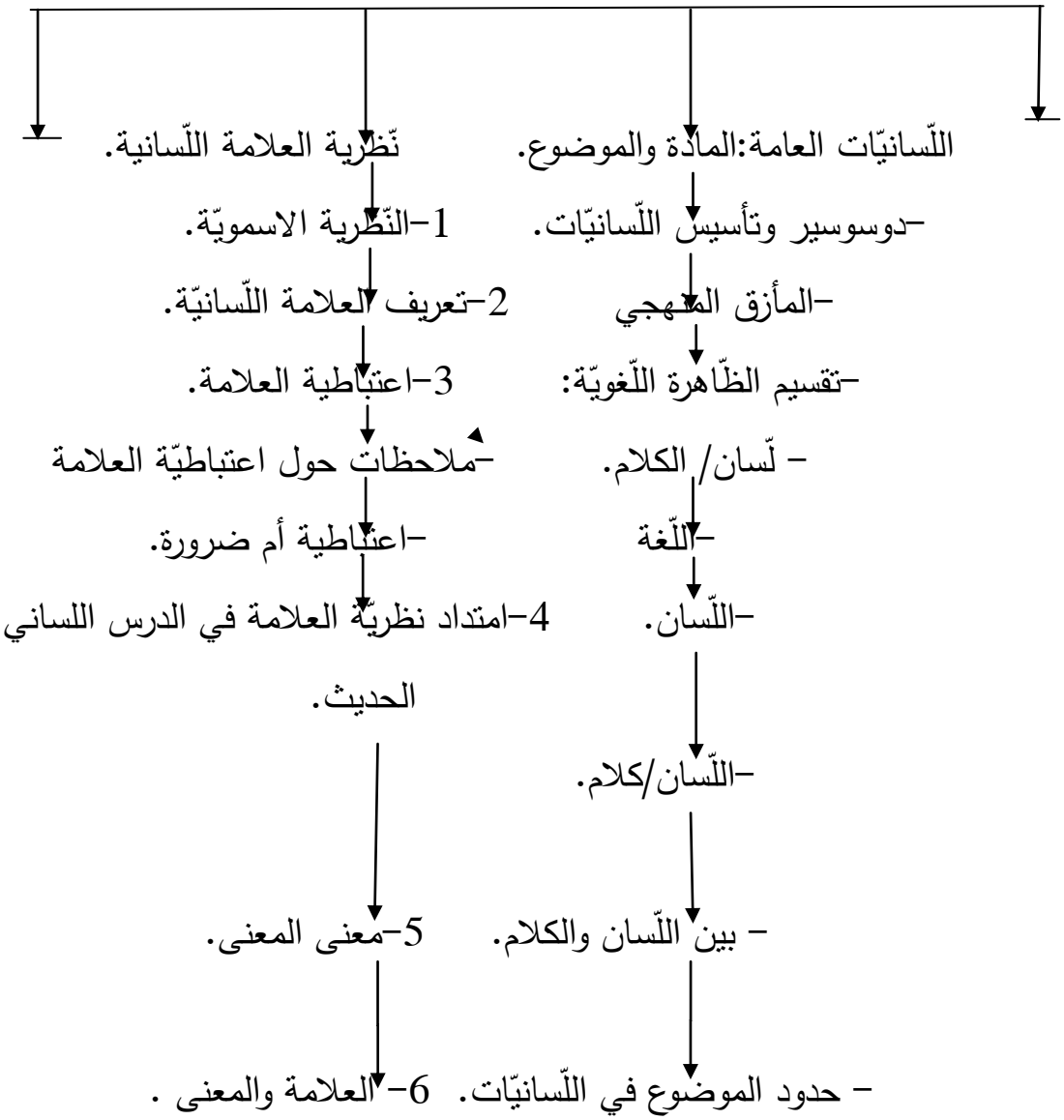

اللّغويات التّوفيقيّة.
1-المرحلة التّوفيقية
-في التّسمية والتّحديد الزمني.
2- الغايات
-الغاية الدّينيّة
- الغاية الفلسفية.
-الغاية الفيلولوجية.
3-سمات المرحلة التّوفيقية
-سيادة الفكر الديني.
-اللّغة والنحو والمنطق.
أ- ديكارت.
ب- نحو بور رويال.
ج- كوندياك(1780/1714):اللّغة أداة للتحليل.
- أتباع النّهج المعياريّ.
-الاهتمام باللّغة المكتوبة.
اللّسانيّات المقارنة.
1-اكتساب اللّغة السّنسكريتيّة.
2-أعلام المنهج المقارن.
3- غريم وقانونه الصّوتي.
4 - سمات المرحلة المقارنة.
- التأثير بالعلوم الطّبيعيّة.
- التصنيفات اللّغوية.
- اللّغة الأولى.
5- مآخذ على النّحو المقارن.

الباب الثالث:اللّسانيّات:(المجال والموضوع والمفاهيم).[1]



[1] - ينظر، مصطفى غلفان، في اللّسانيّات العامّة، ص183 إلى 245.


إلى وحدة المبادئ.
-اللّسانيّات العامّة:دلالة المفهوم.
العلاقات الاستبداليّة: إعادة
التركيب.
6-التّقابلات الصّوتيّة
وأنواعها.
-التّقابلات في الصرف
والتّركيب.
-التّميز بين الآنيّ و الحركيّ.
-تبرير التقسيم.
-البنوية والتّاريخ.
-حضور التّاريخ.
- الإنسان والتّاريخ.



ب/– من حيث المنهج:

تعتمد الخطابات اللّسانية في مجملها على المناهج العلمية وهذا ما تبناه مصطفى غلفان في خلال خطابه: (في اللّسانيّات العامة) [1]، الذي يحتضن مسؤولية تقديم المعرفة اللّسانيّة إلى القارئ العربي، وفق مناهج وأسس، وأساليب علمية محضة ليسير فهمها واكتسابها. وبالرغم من كل ما جاء به مصطفى غلفان، إلاّ أنّ الخطابات اللّسانيّة العربية حالت دون الاشتراك في منهج محدد في تقديم اللّسانيّات، فكثيراً ما نجد نماذج مختلفة على مستوى ساحة البحث اللّسانيّ العربي، فهناك العديد من خطابات تمتلك إستراتيجيات خاصّة قد

[1] – ينظر ، مصطفى غلفان، (مدونة البحث).

تختلف عن إستراتيجيات الآخرين، وهذا إنَّما يدل على أنّ تقديم اللّسانيّات إلى القارئ العربي لا تزال حبيسة اتجاهات الذوقية للمؤلفين.

يتناسب موضوع الخطاب اللّسانيّ العربي لدى مصطفى غلفان – من خلال تقديم النظريات اللّسانيّة – مع المبادئ و المناهج جديدة في دراسة اللّغة البشرية بصفة عامّة "وتعتمد هذه الخطابات على المنهج التعليمي القائم على التوضيح والتباين والشرح ...وتروم هذه الكتابة تقديم اللّسانيّات، ومفاهيمها النظرية، والمنهجية بشكل مبسط قصد تيسير المعرفة اللّسانيّة للقارئ العربي سواء كان يلج عالم التخصص أو قارئاً ينشد التسلح باللّسانيّات للاستفادة منها في مجالات فكرية أخرى من فكر عربي، أو نقد الأدبي، أو تاريخ، أو ما شابه ذلك."[1]

ومنه فإنّ الغاية التعليمية تشكل الهدف الذي يروم تحقيقه هذا الصنف من اللّسانيّات لهذا من المفروض أنْ يكون كل مؤلف من المؤلفات اللّسانيّة بنية خطابية متكاملة علمياً ومنهجياً، وقد سلك هذا الاتجاه مجموعة من مؤلفي الخطابي اللّسانيّ العربي حيث تعرف باللّسانيّات وتقدمها للقارئ العربي، باعتبارها منهجاً علمياً تصونه الدقة و الوضوح، وهذا ما أهلها للسير في طريق التفوق، والنهوض بمنهج علمي متماسك يتسم بوضوح أدواته واستقرار مصطلحاته.

ج– من حيث اللّغة:

*لّغة الخطاب اللّسانيّ التمهيديّ العربي عند مصطفى غلفان:

قد يكون اختلاف حول طبيعة اللّغة بين المفكرين منذ قدم التاريخ البشري إلاّ أنَّ اللّسانيّين عامّة والمفكرين العرب خاصة يلتقون في تحديد طبيعة اللّغة الخطاب اللّسانيّ والذي تتسم لّغته بالعلمية وهذا ما نجده لدى مصطفى غلفان، فإنَّ العلمية تتجسد في معظم خطاباته، وهذه الخطابات موجهة أساساً للتعريف باللّسانيّات: "واللّسانيّات بوصفها الدّراسة العلميّة للّغة البشرية في ذاتها ومن أجل ذاتها، ليست بدعة فكرية أو ترفاً علمياً ...لأنّ الفهم

[1] – مصطفى غلفان،اللّسانيّات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية و المنهجية، جامعة الحسن الثاني عين الشّق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة الرسائل، ص92.

العميق للّغة البشرية هو فهم لطبيعة العقل والمعرفة عند الإنسان."[1] ومما لاشك فيه أنَّ أسلوب إيصال هذه اللّغة يكون علمياً بحتاً، كما تتميز لّغة مصطفى غلفان بالموضوعية الخطاب اللّسانيّ العربي بعيداً عن الذاتية، بمعنى إلغاء ذاتية المؤلف، أي مصطفى غلفان يدرس اللّسانيّات في ذاتها ومن أجل ذاتها، وبما أنّ الخطاب اللّسانيّ عموماً خطاب تبسيطي كما ذكرنا آنفاً، فلا شك أنَّه يبتعد عن النقد والمقارنة، ومع ذلك يمكننا أنْ نلاحظ بعض المواقف الذاتية التي اتسمت بها خطابات مصطفى غلفان من خلال كتابه (في اللّسانيّات العامة) حينما نقد بلومفيلد على حد قوله:"إنّ موقف بلومفيلد المتشددّ الذي يلغي الفكر اللّغوي القديم،لا يأخذ به لّسانيّ آخر."[2]

كما نلاحظ أنَّ مصطفى غلفان قد استشهد بقول لروبنز من خلال خطابه(التاريخ الموجز للّسانيّات من أفلاطون إلى تشو مسكي):"إنّ اللّسانيّات اليوم مثلها مثل فروع العلم والمعرفة الإنسانّية، عبارة عن نتاج لماضيها، وعبارة عن مادّة لمستقبلها، والأفراد يولدون وينمون ويعيشون في بيئة تتحدّد فيزيائياً، وثقافياً بماضيها، وهم يشتركون معاً في هذه البيئة."[3]

وبالعودة إلى مصطفى غلفان فإن العلمية تتجسد في أغلب خطاباته، ويظهر ذلك من خلال عناوين خطابه (اللّغة في بعدها الإنسانيّ،اللّغة وكينونة الإنسان ...) كما تظهر لّغته العلمية في تماسك أفكاره لأنَّه يركز على تقسيم المواضيع العامّة إلى مواضيع جزئية منسجمة مترابطة، يبيّن كل منها قسماً من أقسام الموضوع العام، من خلال ما يعرضه من مبادئ ومفاهيم لّسانيّة تمهد للقارئ العربي الأرضية لفهم المؤلفات اللّسانيّة العربية عموماً.

4/الفكر اللّغوي العربي القديم عند مصطفى غلفان بين الرفض والقبول:

تخص اللّسانيّات العربية الخطابات اللّسانيّة العربية التي نهلت من النظريات اللّسانيّة في دراسة اللّغة العربية نهلا كبيراً، كما أنَّها تعد من بين الدوافع المهمة التي دفعت الثقافة العربية إلى التفكير في تأسيس خطاب لّسانيّ عربي مؤسس، لجرأة هذه الدراسات، ولتشعب

---

[1] – مصطفى غلفان، في اللّسانيّات العامة، مرجع سابق، ص14.

[2] – المرجع نفسه، ص95.

[3] – المرجع نفسه، ص95، نقلاً عن، روبنز، موجز تاريخ اللّغة ، ترجمة أحمد عوض، رقم227،عالم المعرفة الكويت نوفمبر،1998، ص20.

مساراتها، معتمداً في ذلك على منطلقات ذات منهج علمي تتجسد في تاريخ الفكر اللّغوي الذي اعتنقه مصطفى غلفان من خلال خطابه (في اللّسانيّات العامة)حينما وقف أمام هذه الخطابات وقفة إنصاف، حيث لم يعمم في الحكم السلبي على هذه الدراسات، كما هو معهود عند بعض الدارسين، بل أشاد ببعضها، وأقر بما وصلت إليه من قفزة نوعية. كما اكتسبت عنده هذه الأهمية لأنّها– في اعتقاده– ساهمت في :"وضع اللّبنات الأولى للبحث اللّسانيّ العربي علمي دقيق للدراسات اللّغوية العربية السائدة، معبدة السبيل للأجيال القادمة نحو الدرس اللّسانيّ العربي في مستوى الحداثة والعالمية ."[1] لقد عرض مصطفى غلفان أفكاره النقدية في خطابه "في اللّسانيّات العامة"، وكان اختيارنا لهذا الخطاب كنموذج لأسباب علمية منها توضيح دراسته، وتتبع الدقيق لبدايات اللّسانيّات العربية، وتطورها. كما أشار مصطفى غلفان إلى أهم الدراسات التي تناولت الفكر اللّغوي العربيّ القديم، كما "خص بلومفيلد في خطابه" اللّغةle langage "الصادر سنة 1933 الفكر اللّغوي القديم عموماً بما يقارب الخمسة عشرة صفحة، لم يكن نصيب الفكر اللّغويّ العربيّ منها أكثر من سطرين، أشار إلى مسألتين:

– أنَّ العرب وضعوا على أسس قديمة متداولة قبلهم (إشارة إلى تأثير الهنود و اليونان في العرب) نحواً للشّكل التّقليديّ للّغة كما ظهرت في القرآن.

–أنّ اللّغويّين العبرانيّين ساروا على نهج العرب في التّأليف والتّحليل اللّغويين."[2]

ولكن بالرغم من سيطرة الفكر اللّسانيّ الغربي إلاّ أنَّ الفكر اللّغوي العربي القديم لم يبق سجين اعتقادات الغرب، وكل العلوم القديمة تشهد بذلك، وهذا ما أراد الوصول إليه مصطفى غلفان حينما قال: "وتختصر صورة البحث اللّغوي العربيّ القديم في كون العرب قد ساروا في تقاليدهم النّحويّة على خطى النّحاة و اللّغويّين الهنود و الإغريق، وأنّه لمّا كان نمط اللّغة العربيّة مختلفاً عن نمط اللّغة الإغريقية، كانت الطريقة العربيّة في معالجة اللّغة

[1]– حسن خميس الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ط1، دار الشروق، الأردن، 2000 ص224.

[2]– مصطفى غلفان، في اللّسانيّات العامة،مرجع سابق،ص101، نقلا عنLéonard Bloomfield Le Langage,p15

العربيّة مغايرةً لليونان، واهتم النحاة العرب بلّغة القرآن الكريم."[1] إلاّ أنّه بعد ذلك تغيرت نظرة الغربيّين للفكر اللّغويّ العربيّ في السنوات القليلة الأخيرة حوالي 1973 " وقد قدمت كريستيفا صورة إيجابية عن الفكر اللّغوي العربي عموماً وعن النحاة العرب في البصرة والكوفة بشكل خاصّ."[2] ولقد أصّر مجموعة من الباحثين على ربط الموروث اللّغويّ العربيّ القديم بأحدث النظريات والنماذج اللّسانيّة، كما "نجد عدداً كبيراً من الباحثين العرب على امتداد القرن العشرين إلى اليوم، ينتقدون أسس الفكر اللّغويّ المنهجيّة مثلما حصل بالنّسبة إلى اللّغويّين العرب المتأثرين باللّسانيّات الوصفيّة أمثال تمام حسّان وإبراهيم أنيس وعبد الرحمن أيوب على سبيل التمثيل لا الحصر الذين انتقدوا أسس النحو العربيّ من مقياس وعامل وتقدير."[3] وهذا ما يدل على التأخر في ملاحقة وتتبع ما يطرأ من تصورات في الفكر اللّغويّ العربيّ القد يمه وحديثه.

ما يمكننا استخلاصه في الأخير أنَّ الخطاب اللّسانيّ التمهيدي العربي لكل من محمود السعران ومصطفى غلفان لا يكاد يختلف رغم الفارق الزمني الذي يفصل بينهما، وهذا إن دلَّ على شيء إنَّما يدل على أنَّ اللّسانيّات الغربية لم تخرج عن إطار التعريف والتبسيط .

رغم ما وصلت إليه اللّسانيّات الغربية من تطور هائل وغزوها لمجالات البحث العلمي والتي عدت ثورة في الدراسات اللّغوية الغربية، إلاّ أنّها في الثقافة العربية لم تلق الصدى المطلوب والإيجابي، وذلك راجع إلى عدّة عوائق ذكرناها آنفاً في بحثنا هذا مما جعلها لا تحقق القبول المطلوب لدى القارئ العربي.

---

[1]– مصطفى غلفان، في اللّسانيّات العامة، مرجع سابق، ص101.نقلاً عن، ميلكا، اتجاهات البحث اللّسانيّ،ط02، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1968، ب ص.

[2]– المرجع نفسه، ص104.

[3]– المرجع نفسه، ص 104.

خاتمة

لقد حاولنا في مسار بحثنا هذا أن نسلط الضوء على شكل من أشكال النشاط اللساني العربي و المتمثل في الخطاب اللساني التمهيدي العربي الذي تبناه ثلة من المثقفين العرب ممن درسوا في الجامعات الأوروبية، بغية تقريب اللسانيات الغربية من المتلقي العربي وتبسيط مفاهيمها ومناهجها العلمية.

وقد استطعنا بعد مسار بحثنا هذا أن نتوصل إلى أهم النتائج والمتمثلة كالأتي:

1- استقبلت الثقافة العربية اللسانيات الغربية الحديثة في وقت مبكر من ظهورها فتزامن ولوجها إلى الثقافة العربية مع نشأتها في موطنها الأصلي، وما ذاك إلا بفضل عصر النهضة العربية والذي يفتح الباب أمام اتصال الثقافتين.

2- واجهت اللسانيات الغربية عدة عوائق في الثقافة العربية جعلتها تنحصر في أهل التخصص، فحاول المتخصصون من العرب تقريبها من المتلقي العربي باعتمادهم على منهج تمهيدي تعليمي لإنجاح عملية التقريب تلك.

3- ظهور حركة خطابية لسانية تمهيدية منذ البدايات الأولى من ولوج اللسانيات الغربية إلى الثقافة العربية، وكان أول خطاب لساني تمهيدي عربي على يد عبد الواحد وافي سنة 1941والذي تمثل في "فقه اللغة" تناول فيه التعريف باللسانيات الغربية بغية تقريبها من القارئ العربي.

4- اعتماد الخطاب اللساني التمهيدي العربي على المنهج التعليمي للتّبسيط والتّقريب والتسهيل، باعتباره المنهج الأصلح في تقريب اللسانيات الغربية من القارئ العربي.

5- يرى أغلب اللسانيين العرب أن الخطابات اللسانية التمهيدية لم تنجح في تقريب اللسانيات الغربية من القارئ العربي وذلك راجع إلى عدة أسباب منها ماله علاقة بالخطاب التمهيدي، كتعدد المصطلحات اللسانية وتكرار المواضيع اللسانية أو تناولها بسطحية دون التطرق إلى الخلفيات الفلسفية التي أدت إلى ظهور اللسانيات، كذلك مقارنتها مع التراث اللغوي العربي القديم مما أدى إلى ترجيح معرفة على معرفة أخرى، أما الأسباب التي لها علاقة بالمتلقي العربي فقد تمثلت في صورة الغرب السلبية الراسخة في مخيلة المتلقي

العربي، كذلك سمة القداسة والعلاء التي يكنها المتلقي العربي للغة العربية على أنها لغة القرءان.

6- تواصل الحركة الخطابية اللسانية التمهيدية إلى يومنا هذا رغم مرور أزيد من نصف قرن على ولوج اللسانيات الغربيةّ إلى الثقافة العربية.

7- تقارب الخطابات اللسانية التمهيدية العربية القديمة والحديثة مما يدل على أن اللسانيات مازالت تحتاج إلى التعريف والتبسيط والتقريب .

8- تشابه الخطاب التمهيدي لمحمود السعران والخطاب التمهيدي لمصطفى غلفان رغم الفارق الزمني الذي يفصل بينهما.

9- في الوقت الذي قطعت فيه اللسانيات الغربية شوطا كبيرًا مازال الدرس اللساني العربي في بداياته الأولى بسبب إعراض المتلقي العربي عن الدراسة اللسانية الحديثة وتمسكه بالدراسات اللغوية العربية التراثية.

10- ظهور خطابات لسانية من حين إلى أخر تُبسط المفاهيم الأولى للسانيات الغربية وتوضح مفاهيمها بهدف تقريبها من القارئ العربي

وإلى هنا نكون قد أنهينا بحثنا هذا والذي نرجو أن يكون محاولة ولو بسيطة في تحليل الخطاب اللساني التمهيدي العربي وتسليط الضوء على أهم مميزاته العلمية.

قائمة المراجع

أ. **قائمة الكتب:**

1)-إبراهيم أنيس، اللهجات العربية، ط5، مكتبة لأنجلو مصرية، القاهرة، 1979.

2)-إبراهيم محمد خليل، في اللّسانيّات ونحو النص، ط2، دار المسيرة لنشر والتوزيع والطباعة،الأردن، 2007.

3)-أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، ط2، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2010.

4)-أحمد سمابلوفتش، فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، .

5)-أحمد علبي، المنهجية في البحث الأدبي، ط1، دار الفارابي، بيروت، 1999.

6)-أحمد محمد المعتوق، المعاجم اللغوية العربية، ط1، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2008.

7)-التهامي الهاشمي الراجي، توطئة في علم اللغة، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1977.

8)-المنظّمة العربية لتربية والثقافة والعلوم، الثقافة ووسائل نشرها في الوطن العربي، (201/300).

9)-المنظّمة العربية لتربية والثقافة والعلوم، الخطة القومية لترجمة، مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي، الدورة العاشرة، تونس، 1996.

10)-أنيس فريحه، نحو العربية الميسرة، ط1، دار الثقافة، بيروت،1955 .

11)-تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، 1994.

12)-جرجي زيدان، تاريخ أدب اللغة العربية، موفم للنشر،الجزائر .

13)-حافظ إسماعيل علوي، أحمد الملاخ، قضايا إيستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2009، تقديم.

14)-حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة : دراسة تحليلية في قضايا التلقي وإشكالاته، ط1، دار الكتاب الجديد، 2009، ص23.

15)-حسن خميس الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ط1، دار الشروق، الأردن، 2000.

16)-حلمي خليل،- العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية،1995.
- مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003.

17)-خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ط3، دار الأمل، الأردن، 2001.

18)-دانيال رينغ، رجل الإستشراق، ترجمة إبراهيم صحراوي، مسار اللغة العربية في فرنسا، دار التنوير لنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

19)-رافعة رفاعة الطهطاوي، التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية، تحقيق محمد فهمي حجازي، دار الفكر العربي،القاهرة،1973.

20)-رشيد عبد الرحمن العبيدي، الألسنية المعاصرة والعربية، الذخائر، العدد1، شتاء1420هـ/2000م.

21)-ريمون طحان، الألسنية العربية (الألسنية1)، ط2، دار الكتاب اللبناني، لبنان،1981.

22)-زكي نجيب محفوظ، تجديد الفكر العربي، ط9، دار الشروق، القاهرة، 1993.

23)-سلمان البدوي، العالم الثالث الهوية والحضارة،ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان،2011.

24)-شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ط1، أبحاث لترجمة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2004.

25)-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم لنشر،الجزائر، 2007،ج1.

26)-عبد السلام المسدي،- التفكير اللساني في الحضارة العربية، ط3، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2009.

27) - العرب والانتحار اللغوي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان،2011.

28) – اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار الوطنية للنشر،الجزائر– تونس،1997.

29)–عبد العلي الودغيري، اللّغة والدين والهوية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000.

30)–عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، ط2، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، 1986.

31)–عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيآت واللّغة العربية، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1986.

32)–عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ط1، دار صفاء لنشر والتوزيع، عمان، 2010.

33)–عبد المجيد عيساني، النحو العربي بين الأصالة والتجديد، ط1، دار ابن حزام، لبنان.

34)–عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، كويت، 1985.

35)– عبد الجليل مرتاض، في علم النص والقراءة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007

36)–عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت،1986.

37)–علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ط6، دار نهضة مصر لطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة.

38)–عمار لحسن، أهمية الترجمة وشروط إحيائها، المجلس الأعلى للغة العربية، دار الهدى، الجزائر، 2007.

39)–عمر بن قينه، الأدب العربي الحديث، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،1999.

40)-فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني الحديث، دراسة في النشاط اللساني العربي، ط1، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2004.

41)-مبروك زيد الخير، محاضرات في قضايا المعجم العربي.لاقتها بالدرس اللساني الحديث، 1، دار الوعي، الجزائر 2011.

42)-محمد الزهير السنهوري وآخرون، تراث الإسلامي، ط1، جمعية إحياء التراث الإسلامي،الكويت،1988،ج2.

-43) محمد العياشي صاري، المصطلح اللساني العربي الحديث من التأسيس إلى التدريس، مجلة الخطاب الثقافي، العدد03، خريف2008.

44)-محمد بازي، العنوان في الثقافة العربية: التّشكيل ومسائل التأويل، الدار العربية لعلوم ناشرون لبنان، منشورات الاختلاف الجزائر، دار الأمان، الرباط، 2012

47)-محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب نهاية القرن الثالث، ط1، دار مكتبة الحياة، بيروت،1979.

48)-محمد شندول، الشاهد(citation) النموذج في العالم العربي المعاصر، الشاهد والمثل في كتب النحويين والمعجميين العرب، مركز البحث في المصطلح والترجمة بجامعة ليون، دار وكتب الهلال، بيروت،2010.

49)-محمد صالح الصديق، مستقبل اللّغة العربية، دار هومة لطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2007.

50)-محمد فكري الجزار،العنوان و السيميوطيقا، الاتصالات لأدبي، الهيئة العامّة المصرية للكتاب، القاهرة،1998.

51)-محمد محمد داود، العربية وعلم اللّغة الحديث، دار غريب لطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.

52)-محمود السعران، علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1962.

53)-محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ط2، دار الثقافة، القاهرة، 1978.

54)-مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، موفم للنشر، الجزائر،2007، ج3.
55-مصطفى غلفان،- في اللّسانيّات العامّة: تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، 2010.

56) - نشأة اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ط1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ص07.

57) - مصطفى غلفان،اللّسانيّات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية و المنهجية، جامعة الحسن الثاني عين الشّق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة الرسائل.

58)- منذر عياشي ،- قضايا اللسانية وحضارية، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1991.
59) - اللّسانيّات والحضارة، ط1، عالم الكتب الحديثة لنشر والتوزيع، اربد 2013، ص05.

60)- موسى ربابعة، جماليات الأسلوب والتلقي دراسة تطبيقية، ط1، دار جرير لنشر والتوزيع، عمان، 2008.
61)- ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث)،المبادئ والأعلام، ط2،المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع بيروت، 1983
62)- نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث، ط1، دار الشروق، عمان، 2007.
63)- هبة خياري، خصائص الخطاب اللساني"أعمال ميشال زكريا نموذجا"، ط1، دار الوسام العربي للنشر والتوزيع الجزائر،1432-2011.
64)- وليد العناتي، عيسى برهومة، اللغة العربية وأسئلة العصر، ط1، دار الشروق لنشر والتوزيع، عمان، 2007 ص113.

65)-نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، دار الفتح للتجليد الفني، الإسكندرية ،2008.

ب. <u>قائمة المقالات:</u>

1)-سعاد بنت سعيد الديغشية، أثر الدراسات اللغوية الغربية في الدكتور محمود السعران، جامع البحوث والرسائل العلمية الموقع WWW .B7OH.COM.

2)-حلمي خليل، دراسة تحليلية لكتاب علم اللغة لمحمود السعران، برنامج المكتبة الشاملة،www.shamela.ws// httep .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

- مقدمة

- **الفصل التمهيدي: اللسانيات الغربية في الثقافة العربية**

- المبحث الأول: ولوج اللسانيات الغربية إلى الثقافة العربي:.....07

-تمهيد.....07

-عصر النهضة الفكرية.....09

- تجديد الفكر اللغوي.....09

- دوافع المشروع الإصلاحي النهضوي.....10

- تجليات المشروع اللغوي الإصلاحي.....13

- مساهمة الطهطاوي في تجديد الفكر اللغوي العربي.....18

- جرجي زيدان والمنهج التاريخي المقارن.....20

- مساهمة الأب ماري أنستاس الكرملي(1886-1947)اللغوية.....22

- المرحلة الإستشراقية ودورها في مد جسور المعرفة اللسانية.....24

- المبحث الثاني: نشأة اللسانيات العربية.....27

- تمهيد.....27

- اتجاه اللسانيات في الثقافة العربية.....27

- تلقي اللسانيات في الثقافة العربية.....30

- عوائق تلقي اللسانيات في الثقافة العربية.....31

- **الفصل الأول: الخطاب اللساني التمهيدي العربي، النشأة والأهداف**
- المبحث الأول: نشأة الخطاب اللساني التمهيدي العربي.....42
- تمهيد.....42
- الخطاب اللساني التمهيدي العربي.....42
- ظهور أول خطاب لساني تمهيدي عربي.....43
- الخطاب اللساني التمهيدي العربي المترجم.....52
- الخطاب اللساني التمهيدي العربي وإشكالية المصطلح اللساني.....57
- المبحث الثاني: أهداف الخطاب اللساني التمهيدي العربي.....61
- تمهيد.....61
- قراءة وصفية تحليلية للخطاب اللساني التمهيدي العربي.....61
- تقييم الخطاب اللساني التمهيدي العربي.....72
- **الفصل التطبيقي: دراسة وصفية تحليلية للخطاب اللساني التمهيدي العربي محمود السعران ومصطفى غلفان**
- المبحث الأول: تحليل الخطاب اللساني التمهيدي لمحمود السعران.....75
- تمهيد.....75
- التعريف بمحمود السعران.....76
- تحليل الخطاب اللّساني التّمهيدي العربي لمحمود السعران.....77

- شكل ومضمون الخطاب اللّساني التّمهيدي لمحمود السعران.....90
- مميزات الخطاب اللّساني التّمهيدي العربي لمحمود السعران.....94
- المبحث الثاني: تحليل الخطاب اللّساني التّمهيدي لمصطفى غلفان.....96
- تمهيد.....96
- التعريف بمصطفى غلفان.....97
- شكل ومضمون الخطاب اللساني التمهيدي العربي لمصطفى غلفان.....98
- تحليل الخطاب اللساني التمهيدي العربي لمصطفى غلفان.....104
- الفكر اللّغوي العربي القديم عند مصطفى غلفان بين الرفض والقبول.....112
- خاتمة.....116
- قائمة المراجع.....119
- فهرس المحتويات.....126